الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: ...../2019.

رقم التسجيل: 1433061948

العلاقات المملوكية العثمانية

(857هـ-923هـ)(1453م-1517م).

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر.

اعداد الطالبة:

- بن الذيب قمر

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
		رئيسا
بن قبي عيسى	أستاذ محاضر – أ-	مشرفا ومقررا
		ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: ...../2019.

رقم التسجيل: 1433061948

العلاقات المملوكية العثمانية

(857هـ-923هـ)(1453م-1517م).

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر.

اعداد الطالبة:

- بن الذيب قمر

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
		رئيسا
بن قبي عيسى	أستاذ محاضر – أ-	مشرفا ومقررا
		ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

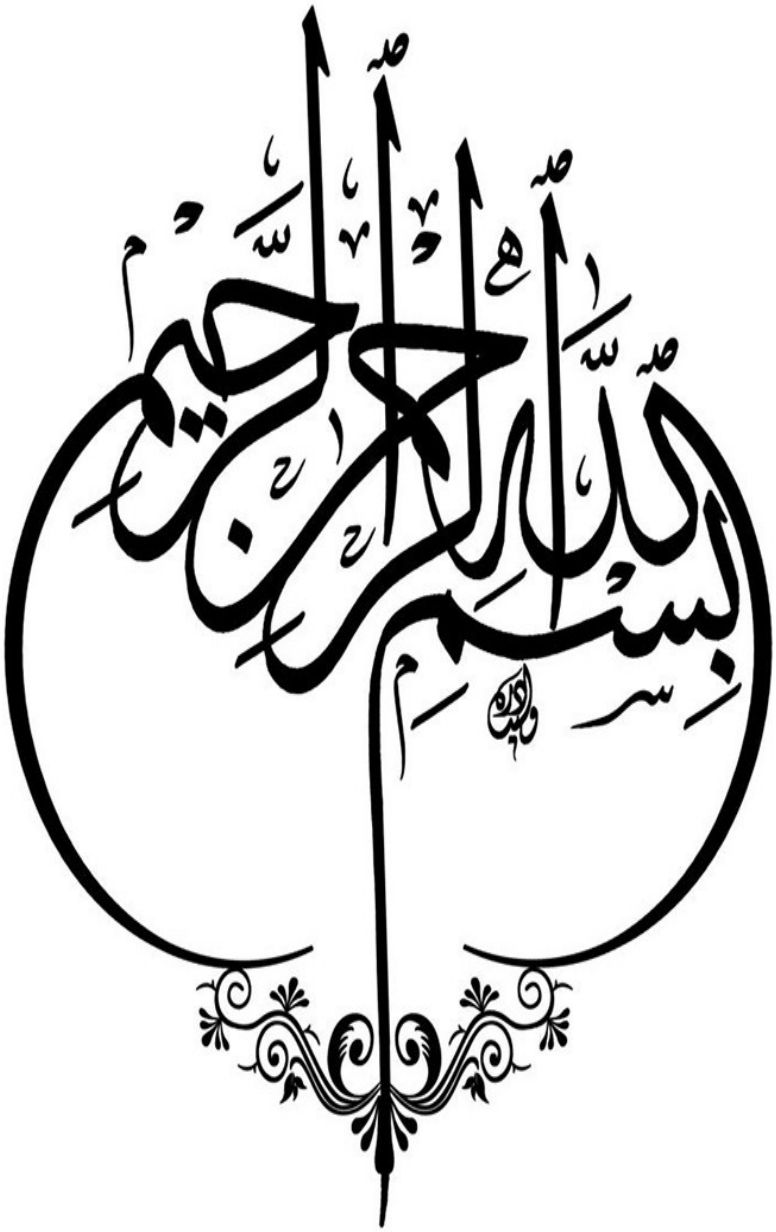
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" و قضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين احسانا " الآية 23 من سورة الاسراء

اهدي ثمرة جهدي هذا إلى من أحمل اسمه بكل فخر **والدي الغالي** حفظه الله، وإلي **والدتي** التي منحتني الحب و الحنان أمي الحبيبة حفظها الله لي.

إلى إخوتي، و إخواتي : منال وزوجها و خديجة ، أنور، عبد الغاني، و زوجته و ابنته الغالية ساجدة.

إلى رفيق دربي زوجي الغالي الذي قدم لي كل الدعم لإنجازها " دون أن أنسى عائلته الكريمة.

والى جميع الاصدقاء دون استثناء.

إلى كل من يحبهم قلبي و لم يذكرهم قلمي .

و إلى كل من سار على طريق العلم و العلماء

أهدي هذا البحث المتواضع راجية من المولى عزوجل أن يجد القبول و النجاح.

شكـــر وتقدير

الحمد لله و الشكر لله العالي العظيم، الذي قدرني على إتمام هذا العمل المتواضع و اهتداءا بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

و عرفانا للجميل لابد من كاتبة باقة من التشكرات ازينها باجمل العبارات، لأهديها بكل تواضع إلى الذي كان له الفضل الكبير استاذي المحترم" **بن قبي عيسى**" التي تفضل مشكورا بقبوله الاشراف على مذكرتي و أفادتي بارشاداته، و توجهاته القيمة و اقتراحه لموضوع الدراسة فلك مني فائق التحية و التقدير.

كما أوجه شكري إلى الأساتذة الافاضل أعضاء اللجنة الذي اشرفوا على قراءتها وتصويب اخطائها .

ولا يفوتيني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى سعد و سامي، اللذان أخرجا ثمرة جهدي في ابهى حلة.

و كل من ساهم من قريب او بعيد في انجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة .

قائمة المختصرات:

الرمز	الدلالة	الرمز	الدلاة
ص	صفحة	تر	ترجمة
...	كلام محذوف	تح	تحقيق
ج	جزء	تق	تقديم
مج	مجلد	اش	اشراف
ط	طبعة	هـ	هجري
د م ن	دون مكان نشر	م	ميلادي
د ت ن	دون تاريخ نشر	الخ	الى اخره
*	الإحالة	""	الاقتباس الحرفي
د ط	دون طبعة	p	page

مقدمة

مقدمة:

إن التنافس داخل حاضرة العالم الإسلامي خلال الفترة الممتدة من (857هـ-923هـ/1453م-1517م) عرف ثلاثة قوى إسلامية و كل منها حاولت التوسع على حساب الأخرى، و تمثلت في قوة الصفويين في الشرق، (إيران و العراق) بينما كانت قوة العثمانيين في الغرب (آسيا الصغرى) وقوة المماليك في بلاد الشام و مصر هاتين القوتين الأخيرتين كانتا تتبعان نفس المذهب الديني وهو السني، حيث تبلورت بينهما علاقات إسلامية فرضها وجود حدود مشتركة من جهة ووجود أخطار خارجية تتربص بهما من جهة أخرى و المتمثلة أساسا في القوى المسيحية الصليبية ،سواء القادمة عبر شوق أوروبا باتجاه منطقة الأناضول و بلاد الشام او تلك القادمة من جهة الغرب، (البرتغاليون) و محاولة توغلهم عن طريق منطقة الخليج،إضافة إلى أخطار اقل حدة تمثلت في المغول القادمين من آسيا الصغرى الصفويين في إيران، و عليه فان كل هذه العوامل أصبغت على العلاقة بين جملة من الخصوصيات جعلت منها مجالا خصبا للبحث العلمي.

أهمية الموضوع :

يكتسي موضوع العلاقات المملوكية العثمانية (857هـ-923هـ)(1453م-1517م) على أهمية كبيرة حيث يكشف لنا عن نموذج للعلاقات الداخلية الإسلامية بين الدولتين تنتسبان إلى نفس المذهب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، مما يفرض نظريا وجود تحالف بينهما على اساس انها تحكمهما نفس المبادئ أو القيم المستمدة من مرجعيتهما الدينية الواحدة، و بالتالي دراسة هذا الموضوع تكشف لنا مدى تأثيرهذه المبادئ في سير هذه العلاقة في ظل الطابع المصلحي الذي يحكم عادة على العلاقات الدولية.

- إن الصدامات التي تخلت هذه العلاقات لم تاتي مصادفة او من العدم بل لها العديد من المبررات، بالإضافةإلى ماأحدثته من تغيير جذري انعكس على العالم الإسلامي بصفة عامة و على المشرق العربي بصفة خاصة.

أسباب اختيار الموضوع:

و يعود سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أسباب من بينها:

ومن الأسباب الموضوعية:

- معرفة مدى تاثير اخطار الخارجية المشتركة المهددة للدولتين العثمانية والمملوكية في توجيه العلاقة بينهما .
- أن كلتا الدولتين المملوكية والعثمانية خضعت لدراسات كثيرة في التاريخ العربي الإسلامي، الا ان الحديث عن طبيعة العلاقة بينهما كانت نادرة جدا و لم تحظ بدراسة مفصلة اذ يجدها الباحث مجرد حقائق و معلومات مبعثرة في خضم الحديث في تاريخ الشام و مصر سواء في فترة دولة المماليك أو العثمانيين .
- الرغبة في اكتشاف بعض الحقائق و المواقف الخفية في مسار العلاقات العثمانية المملوكية، و معرفة مدى تاثير هذه العلاقات على التاريخ الإسلامي.

وأماالأسباب الذاتية:

- الرغبة في دراسة التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ الدولة العثمانية بشكل خاص.
- **حدود الدراسة :**

يرتبط موضوع دراستي باطار زماني محدد بدايته عام 1453م و يمثل هذا التاريخ فتح القسطنطينية، و يمتد إلى غاية 1517م وهو تاريخ سقوط الدولة المملوكية في بلاد الشام و مصر على يد الدولة العثمانية.

طرح الإشكالية :

أما بالنسبة إلى الإشكالية المطروحة هنا هي :

لقد كانت الدولة المملوكية والدولة العثمانية إبان الفترة الممتدة()،تسعيان للهيمنة على العالم الإسلامي وتزعمه وفي نفس الفترة كانت تهددهما جملة من الأخطار الخارجية خاصة الصليبية منهم، فكيف كانت علاقتهما؟ فهل اهتمت بمواجهة الخطر الخارجي الصليبي الذي يهددهما ام تجاهلا هذا الخطر و اهتمت كل دولة في الهيمنة و الاستحواذ على العالم الإسلامي و تزعمه؟

هذه الإشكالية تقودنا بدورها إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها :

- ماهي عوامل التوافق و التصادم بين الطرفين؟
- ماهي أسباب التوافق و مظاهره؟
- ماهي أسباب التصادم و مظاهره؟
- ماهي الظروف التي جعلت الدولة العثمانية تحول انظارها من الغرب إلى الشرق؟
- فيما تمثلت نتائج الضم العثماني لبلاد الشام و مصر؟

شرح الخطة :

و للإجابة على إشكالية البحث المطروحة حاولت تناول البحث من خلال خطة تتضمن مقدمة وثلاثة فصول، وكل فصل يضم مجموعة من المباحث ، أما فيما يتعلق بالفصل الأول الذي جاء تحت عنوان: واقع الدولة المملوكية و الدولة العثمانية: تحدثت فيه عن العوامل التي ساعدت الدولة المملوكية في قيامها على انقاض الدولة الايوبية للتعرف على اهم الخصائص التي ميزتها، و جعلتها تصبح من اقوى العصور آنذاك على مختلف الأصعدة ، من حيث حروبها و توسعاتها و قدرتها على صد أي اعتداء خارجي يوجه ضدها بالإضافة إلى المنجزات العمرانية و الاقتصادية والثقافية

و الدينية و ذلك من اجل استخلاص المصدر الذي استوحت منه قوتها و ثرائها.

وأما بخصوص الدولة العثمانية فحاولت الالمام قدر المستطاع باهم ظروف قيامها و نشأتها رغبة في معرفة سر أساسها المتين الذي جعل منها امبراطورية مترامية الأطراف خاصة بعد فتح القسطنطينية ، أما عن أوضاع كلا الدولتين في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي حتى عام 1453م أي فتح القسطنطينية ، حاولت الإحاطة بواقع وظروف الدولتين في تلك الفترة من خلال الوقوف على السلاطين الأوائل آنذاك.

أما الفصل الثاني كان بمثابة الدخول في لب الموضوع بعنوان : التوافق المملوكي العثماني من عام 1453م تضمن ثلاثة مباحث تناولت فيه عن طبيعة التعاون و الود القائم بينها في عهد كل من السلطان محمد الثاني و السلطان بايزيد الثاني، من خلال ابراز مظاهر هذا التوافق،و العوامل التي ساعدت في بناء هذه العلاقة خاصة اذا كان الامر في صالح كل منهما كالخطر المغولي في الشمال و البرتغالي في الجنوب.

وبخصوص الفصل الثالث الأخير الذي احتوى على أربعة مباحث المعنون بالتوسع العثماني في البلادالعربية (بلاد الشام و مصر) 1516م-1517م من اجل الوقوف و رصد مختلف المراحل التي تمت من خلالها ضم الشام و مصر مبرزة من ذلك الظروف التي ساعدت الدولة العثمانية على تحقيق هذا الإنجاز و التمكن من قوة المماليك .

وكانت نهاية هذه الفصول السابقة الذكر بخاتمة و هي عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات التي توصلت اليها من خلال الدراسة ،بالإضافةإلى مجموعة من الملاحق المدعمة للموضوع.

منهج البحث :

و لمعالجة هذا البحث اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، و ذلك بتتبع الوقائع التاريخية و تحليل ابعادها و المنهج الوصفي في وصف مجريات و مسار المعارك الفاصلة بين الدولتين من اجل الوصول إلى اهداف هذا البحث.

عرض المصادر و المراجع:

ولاثراء الموضوع حاولت الالمام و الحصول على قدر وافر من المصادر والمراجع التي تناولته بادق تفاصيله و نذكر اهما : كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لمؤلفه ابن اياس الذي يتالف من خمسة أجزاء و قد اعتمدت على الجزء الثالث و الرابع في الفصل الأول في التوافق العثماني المملوكي من 1453م،أما الجزء الخامس في الفصل الثاني في المبحث الثالث، بالإضافةإلى كتاب آخرة للمماليك او واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني لمؤلفه ابن زنبل الرمال ، اعتمدت عليه في الفصل الثاني في المبحث الثالث في معركتين مرج دابق و الريدانية .

أما المراجع التي اعتمدت عليها فهي كتاب : تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام لمؤلفه : محمد سهيل طقوش، افادني كثيرا في جميع الفصول تقريبا، و كتابين آخرين تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي و كتاب : الفتح العثماني لمصرو الشام و مقدماته من واقع الوثائق و المصادر التركية و العربية المعاصرة لمؤلفه : لحمد فؤاد متولي في الفصل الثاني في المبحث الثاني الخاص باسباب العثماني لبلاد الشام و مصر و غيرها من المصادر و المراجع الأخرى التي كان لها أهمية و فائدة كبيرة في انجاز بحثي هذا .

الصعوبات :

واجهتني من خلال كتابتي لهذا الموضوع مجموعة من الصعوبات نذكر منها :

- معظم المصادر و المراجع المتوفرة لموضوع الدراسة كانت تتضمن معلومات مشابهة و مختصرة.
- عدم اتقاني للغة التركية و اللغات الأجنبية الأخرى خاصة الفرنسية و الإنجليزية وهو ماحال دون اطلاعي على المصادر و المراجع المهمة.

الشكر:

و في الأخير أتقدم بخالص الشكر و التقدير للأستاذ الفاضل بن قبي عيسى على قبوله الاشراف على هذه المذكرة، و له كل الامتنان على توجيهاته و نصائحه .

دون ان انسى أعضاء اللجنة الافاضل الذين بذلوا جهدا في قراءة هذه المذكرة من اجل تصحيح افكارها، كما ارجو من الله المستعان ان يكون هذا العمل المتواضع في مستوى توقعاتكم و منطلقا لابحاث أخرى.

الفصل الأول

الفصل الأول: واقع الدولة المملوكية و الدولة العثمانية.

المبحث الأول: الدولة المملوكية وظروف تأسيسها.

أ – نهاية الدولة الأيوبية و قيام دولة المماليك

ب – المماليك البحرية و البرجية .

المبحث الثاني : الدولة العثمانية وظروف تأسيسها.

أ– قيام الدولة العثمانية

المبحث الثالث: تطور كل من الدولة المملوكية والعثمانية من مطلع القرن 15 إلى غاية 1453م.

الفصل الأول: واقع الدولة المملوكية والدولة العثمانية

المبحث الأول: الدولة المملوكية وظروف تأسيسها:

أ- نهاية الدولية الايوبية وقيام دولة المماليك:

شهدت فترة نهاية الدولة الأيوبية الى وقوع نزاع حاد بين الأمراء الأيوبيين أدى الى اضعاف وحدة الدولة الايوبية فضلا عن النزاع بين الأمراء الأيوبيين و الأسر الأخرى مثل: الالزنكي في الموصل و سنجار و السكمان في خلاط و الفوضى في الدول الإسلامية و خاصة مصر و بلاد الشام،و لم يجد الامراء الايوبيون سوى طريقة لإكثار من شراء المماليك و الرقيق الأبيض لتدريبهم و اعدادهم ليكونوا سندا لهم و سلاحهم في الصراعات الداخلية الحاصلة.[1]

فقد اعتمد عليهم حكام الشرق الأدنى الاسلامي خاصة في مصر والشام في صراعهم ضد بعضهم البعض ،وكان أولئك الحكام المتنازعون يشترون المماليك صغارا من سن الطفولة و يربونهم تربية عسكرية و سياسية ليكونوا عدتهم و سلاحهم في الصراعات،و يعد السلطان صالح نجم الدين الأيوبي* المسؤول عن ازدياد نفوذ

[1] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر المملوكي، دار اسماة للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، 2003، ص20.

*صالح نجم الدين الايوبي: ينتمي صلاح الدين الى عائلة كردية كريمة الأصل عظيمة الشرف و هذه العشيرة تعرف بالروادية ولد عام 532هـ/1137م في قلعة تكريت بلدة قديمة اقرب الى بغداد منها الى الموصل لقد درج صلاح الدين عن طريق الغزو، نشأ على الفروسية و تدرب على الحرب و الجهاد و مارس السياسة و تدبير الأمور، ينظر الى: علي محمد الصلابي، صلاح الدين الايوبي و جهوده في القضاء على الدولة الفاطمية و تحرير بيت المقدس ،ط1، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت لبنان،2008 م ص ص223-228.

المماليك[1] بعد ان أحس بالمؤامرات عن السلطنة، و حاجته الى جيش قوي ليسانده مما دفعه الى تأسيس هذه الجماعة، و الذي اطلق عليهم اسم البحرية.[2]

وجاء العدوان الصليبي على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا سنة 647هـ/1249م و في خضم الصراع بين الصليبيين توفي صلاح نجم الدين الايوبي [3]، قبل ان يتمكن من طرد الفرنسيين الذين استولوا على دمياط فقام بتدبير الجيش كبار قواده من المماليك بمشورة زوجه شجرة الدر*، حتى وصل ابنه توران شاه من حصن كيفا بديار بكر و انتصر على الفرنسيين سنة 846هـ/1250م بفضل جهود المماليك البحرية.[4]

وفي الوقت الذي وصل فيه توران شاه الى مصرو أصبح سلطانا عليها شعر بأن المماليك قد يشكلون له حجر عثرة لابد من تجاوزها[5] كما تنكر لشجرة الدر التي حفظت له ملكه فإتهمها بأنها أخفت ثروة أبيه و طالبها بهذا المال، وهددها حتى دخلها منه خوف شديد مما حملها على بث شكواها الى المماليك البحرية الذين يخلصون لها باعتبارها زوجة أستاذهم...و نظرا لشخصية توران شاه تمكن مماليكه من إثارة الضغينة على المماليك البحرية و على زوجة أبيه و لهذا السبب تخوف المماليك من نواياه فقرروا قتله وقد ساندتهم شجرة الدر في ذلك.[6]

---

[1] قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص7.

[2] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص20.

[3] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص7-8.

* شجر الدر: من اصل ارميني او تركي اشتراها الصالح أيوب فاعتقها و تزوجها لذلك فهي من ناحية الأصل و النشأة اقرب الى المماليك بالإضافة الى ذلك فان الصلة السياسية التي ربطتها بالصالح أيوب فقد انتهت بموته و انها أصبحت حاكمة لمصر بكونها من فئة المماليك، وعدها المقريزي أولى سلاطين المماليك البحرية، محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ط5، دار النفائس، بيروت، لبنان،2011م، ص315.

[4] السيد الباز العريني، المماليك، (د ط) ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت،(د ت ن)، ص45-46.

[5] مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص21.

[6] محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصرو بلاد الشام(647-923هـ/1250-1517م)،دار النفائس للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1997م، ص33.

و من هنا نستنتج ان العدوان الصليبي كان فرصة لإبراز أهمية المماليك في الدفاع عن العالم الإسلامي فقد استطاع هؤلاء و بمساعدة المصريين القضاء تماما على الجيش الصليبي ،و أسر لويس التاسع نفسه ملك فرنسا أدى الى تقوية نفوذهم وإحساسهم بالتفوق في مصر، فقد جعل هذا الانتصار الى توتر علاقة توازن شاه مع المماليك بسبب سياسته معهم و إهمال الأمراء و الأكابر و أهل العقد و إنهماكهفي الملذات و اللهو إضافة الى مطالبة زوجة أبيه شجرة الدر بإسترداد أموال أبيه كل هذه العوامل جعلت شجرة الدر تحرض عليه المماليك ،و استقر رأيهم على قتله وقد كان موته مأساويا ثم اعتلاء شجرة الدر السلطة.

اتفقت كلمة أمراءالمماليك البحرية بعد قتل تورانشاه على تولي شجرة الدر السلطنة في مصر.[1]

و لما احتج الأمراء الأيوبيين في الشام و الخليفة العباسي المستعصم في بغداد على هذا التنصيب،فتزوجت شجرة الدر من الأمير عز الدين أيبك أحد أمراء الصالح أيوب ،و تنازلت له عن الحكم و بذلك بدأ حكم الدولة المملوكية.[2]

لم يكن مقتل توران شاه و مارافقه من أحداث منهية لدولة الأيوبيين في مصر، لتقوم معارضة من قبل الأيوبيين في بلاد الشام رافضين تسلم المماليك الحكم في مصر، حيث تولى أمر المعارضة في المماليك كل من حاكمي دمشق و حلب الناصر يوسف

[1] حمدي عبد المنعم، محمد حسنين، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص157.

[2] منصور عبد الحكيم، السلطان سيف الدين قطن بطل عين جالوت و قاهر المغول،(د ط)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، (د ت ن)،ص65.

وحاكم الكرك الايوبي لمحاولة استرجاع حكم مصر للايوبيين و قد افضت هذه المعارضة الى معارك بين الطرفين .[1]

- **المماليك البحرية و البرجية:**

1-تعريف المماليك:

لغة: جمع مملوك و هو اسم مفعول من الفعل ملك و اسم الفاعل مالك و المملوك هو عبد مالكه و سموا رقيقا لأنهم يرقوا لمالكهم و يذلون و يخضعون [2]و هو العبد الذي لم يملك أبواه ،و العبد القن الذي ملك هو و أبواه[3]و المملوك عبد يباع و يشترى[4] يعني العبد أو الرقيق ،و إذا كان اللغويون يفرقون بين العبد و القن فيجعلون القن من ورث العبودية عن أبيه و المملكة من لم يجر الرق عن ابيه.[5]

اصطلاحا: امتد حكمهم على مدى قرنين و نصف من الزمن ابتدا في نصف القرن الثالث عشر ميلادي انتهى في أوائل القرن السادس عشر [6]،و كان القصد من تملكهم هو تربيتهم ،ثم الإستعانة بهم كجند و حكام ،عكس العبيد الذين كانوا يملكون لمجرد الخدمة

---

[1]نعمان محمود جبران، دراسات في تاريخ الايوبيين و المماليك، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الاردن، 2000م، ص262-263.

[2]هاني فخري عطية الجزار، النظام العسكري في دولة المماليك، (648-923هـ/1250-1517م) مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الإسلامي، اش: د.رياض مصطفى شاهين، كلية الاداب في الجامعة الإسلامية ،غزة، 2007م، ص16.

[3]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام ، المرجع السابق ،ص15.

[4]احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام،(د ط)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت،(د ت ن)، ص11.

[5]بديع السيد اللحام، الامام السيوطي محدثا، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية ا ش: جميلة شوكتا، شعبة الاسلاميات، جامعى البنجاب، باكستان، 1991م،ص9.

[6]محمد سهيل طقوش ، التاريخ الإسلامي الوجيز، المرجع السابق، ص314.

في القصور فقد شكل هؤلاء المماليك طبقة واسعة في مصر و الشام منذ زمن السلاطين الأيوبيين.[1]

فالمماليك من أصل واحد و من و منطقة واحدة بل جاءوا نتيجة الظروف الخاصة التي تعرضوا لها خاصة عندما يتم أسرهم في الحروب التي كانت سببا أساسيا لوجود المماليك، وخاصة أسر أطفال كثر لدرجة أنه جعل الدول تفكر في حل لتلك المماليك وماذا تفعل بهم و ماذا تستفيد منهم ،ولم يكن هناك خيارات أخرى لإستغلالهم سوى استخدامهم كخدم أو تربيتهم و تنشأتهم على الإسلام، ثم تضمهم الى الجيش ،فالمجتمعات آنذاك كانت في حاجة شديدة للجند و العدد الذي يقتل في الحروب تجبر أي مجتمع على البحث عن بديل فالمماليك كانت جزء من الحل المتاح و ملئ للفراغ آنذاك.

2-المماليك البحرية و البرجية:

و يقسم المؤرخون عصر المماليك الى دولتين متمايزتين بين كل منهما خصائصها وهاتان الدولتان هما:

أ – دولة المماليك التركية البحرية:[2]

وهم مماليك السلطان صالح نجم الدين أيوب كثر عددهم و زادت تعدياتهم فضج منهم السكان ، فبنى لهم قلعة في جزيرة الروضة عام 638هـ فعرفوا بالمماليك البحرية وإن كان هذا الاسم ليس خاصا بهم، إذ كثيرا ما أطلق على غيرهم بسبب حملهم عن طريق البحر و إن لحق بهم هذا الاسم هذا الاسم فيمابعد وأصبح دلالة عليهم ،كما عرفوا أيضا باسم الصالحيين نسبة الى لقب سيدهم الصالح نجم الدين ايوب بالاضافة الى اسم

[1] بديع السيد اللحام، المرجع السابق،ص 9-10.

[2] نفسه ،ص12.

النجمين لاسم السيد نفسه[1]، ليكونوا بعيدين عن المدينة ولذلك سموا بالمماليك البحرية ، وأول أسر المماليك 1260-1382م كانت من هذه الطائفة[2].

ب-المماليك البرجية:

المماليك البرجية أو مايطلق عليهم اسم الجراكسة*[3] ترجع أصول تكوين دولة المماليك الثانية الى أوائل أيام السلطان قلاوون حيث عزم حوالي سنة 681هـ سنة 1281م على تكوين فرقة جديدة من المماليك ليكون خلاصها له و يكون اعتماده عليها دون الفرق المملوكية السابقة و أطلق قلاوون على أفراد هذه الفرقة اسم البرجية [4]نسبة الى أبراج قلعة جبل مقطم التي سكنوها أثناء فترة حكم المماليك البحرية و تمتد فترة حكم هؤلاء من عام784هـ_1382م الى سنة 923هـ/1517م ،تعاقب على كرسي السلطنة ثلاثة عشر سلطانا منهم .[5]

ارتبط ظهور المماليك البرجية بالسلطان قلاوون فاختار عنصرا قوقازيا و أطلق عليه في المصادر العربية اسم الجركس أو الشركس، و مع أن هؤلاء كانوا من الجنس

---

[1]محمود شاكر التاريخ الإسلامي،-7- العهد المملوكي 656-923هـ، ط4، المكتبة الإسلامية، بيروت، 1991م، ص36.

[2]السيروليم موير، صفحات في تاريخ مصر، تاريخ دولة المماليك مصر، محمود العابدين و سليم حسن، ط1، مكتبة مدبولي ،القاهرة، 1995م، ص39.

*الجراكسة: دعي الشراكسة قديما باسماء عديدة فقد ذكر تاريخ هيرودوت عن قبائل السند والميؤوت والاخاز-الاباضة- الذين يعدون من امهات القبائل الشركسية الكبيرة للشراكسة اربع قبائل وهي تركس و اركس وكسا وآس وتتفرغ من تلك القبائل الاربعة بطون و افخاذ كثيرة و قد يكون هذا اللقب اتى من جريرانهم الفرس بمعنى الرجال الاربعة ويعرف الشركس اليوم بالمجموعة الغربية لشمال القفقاس ويتالفون من الاديغة و الوبخ والابخاز ينظر الى :ايمان البقاعي ، الوطن في ادب الشراكسة (الاديغة)، العربي والمعرب، (د د ن)، بيروت ،2014م، ص16-17.

[3]هاني فخري، عطية الجزار، المرجع السابق، ص17.

[4]حكيم امين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية،(دط)، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة ، 1966م، ص11-12.

[5]بديع السيد اللحام ، المرجع السابق، ص12.

التركي العام إلا أنهم كانوا على عداء مع المماليك الاتراك أما موطنهم، فهو المرتفعات الجنوبية في بلاد القبجاق في شمالي بحر قزوين.[1]

و لعل من الأسباب التي جعلت السلطان قلاوون يختار هذا العنصر من أجل أن تختص بالولاء له و امتلاء أسواق الرقيق بهذا النوع ،و عدم غلاء سعره بالإضافة الى إشتهار قبائل الجركس بالشجاعة و القوة.

وانتهت المماليك البرجية مع فتح السلطان العثماني سليم الأول لمصر[2]،و بذلك يمكن القول أن ملك بيت قلاوون قد انتهى معه دولة المماليك البحرية و قامت دولة المماليك البرجية التي اشتهرت بان سلاطينها كانوا جميعا من اصل جركسي و معنى ذلك انهم اتخذوا العصبية العنصرية سلاحا لإزالة و للإطاحة بالمماليك البحرية.

المبحث الثاني:الدولة العثمانية وظروف تأسيسها.

أ- قيام الدولة العثمانية:

انتهت دولة السلاجقة* في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي، السابع هجري، و ظهرت مجموعة الإمارات في الجهة الغربية من الأناضول (اسيا الصغرى)على الحدود البيزنطية ،وقد تأسست هذه الإمارات المسلمة، نتيجة الغزوات الإسلامية في اسيا الصغرى ضدالبيزنطيين، وعرفت هذه الإمارات بإمارات الغزوات ،و كانت إمارة

[1] محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، المرجع السابق ،ص328.

[2] امتثال عز الدين ، المجمل في تاريخ مصر ، اسرتا المماليك ، الحلقة الثالثة عشر، مصر عظمة الانسان والزمان والمكان، ابناء الوطن، العدد 35، ص 31.

*السلاجقة: ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغازية وينتمو الى جده سلجوق استوطنو الاراضي الواقعة بين كاشغر و خوطان في اقصى بلاد التركستان.ينظر الى : محمد سهيل طقوش، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام (471-511هـ/1078-1177م)، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م،ص76.

عثمان إحدى هذه الإمارات ،و قد استطاعت إمارة عثمان* خلال قرن من الزمن أن تسيطر على كافة بلاد الأناضول في آسيا الصغرى و البلقان من الجهة الشرقية و من اوروبا.

و أن تنشأ دولة إسلامية مترامية الأطراف[1] تمد جناحيها شرقا و غربا،و تطرق باب فيينا بواسطة الإسلام على معظم مايعرف اليوم بدول اوروبا الشرقية و اليونان و جزر البحر المتوسط و جزء من إيطاليا و النمسا ،كما خضعت لسيطرتها الأرض الممتدة من شمال القفقاس شمالا حتى الصحراء الافريقية جنوبا و حدود المغرب الأقصى غربا ،كما أنهامدت جناحها الشرقي حتى بلاد فارس و بلاد كردستان شاغلة مساحة من الأرض قدرت بأكثر من 10 ملايين ميل مربع، فكانت أقوى دولة في العالم آنذاك [2]ورغم اختلاف الروايات لدى المؤرخين حول نشأة هذه الدولة ،وقد نقل العرب و الغربيون عن الرواية التركية نفسها بأن العثمانيين هم بالأصل قبائل تركمانية هاجرت من جنوبي ماوراء النهر تحت ضغط توسع جنكيز خان ، و نزلت عند المجرى الأعلى لنهر الفرات بين ارزنجان* وخلاط على بحيرة وان شرقي اسيا الصغرى في عام 1224م.[3]

---

*عثمان: تمكن من يضم اليه قلعة قرة حصار القلعة السوداء او افيون قره حصار عام 688هـ فسر الملك علاء الدين بهذا كثيرا فمنحه لقب بيك و الأراضي التي يضمها اليه كافة ، و سمح له بضرب العملة وان يذكر اسمه في خطبة الجمعة و اتخذ مدينة بني شهر أي المدينة الجديدة قاعدة له و لق نفسه باديشاه الى عثمان، و اتخذ راية له و هي علم تركيا اليوم ينظر الى: عبد الباري محمد الطاهر، دولة الخلافة العثمانية – قراءة في نشأتها و مظاهر حضارتها و عوامل سقوطها ، (د ط) ، زرقاء اليمامة للنشر و التوزيع، الفيوم،(د ت ن)، ص22-23.

[1]تيسيرجباره، تاريخ الدولة العثمانية،(1280-1924)، ط1، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة، رام الله ،2015م، ص17.

[2]علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية و علاقاتها الخارجية ، المكتب الإسلامي ،بيروت، 1992م.ص12.

*ارزنجان: erzinguian مدينة في تركية الاسوية الاناضول في ولاية و لواء ارض روم في القرب من الفرات ينظرالى:س ،موستراس،المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية ،ترو تع:عصام محمد الشحادات ،ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر بيروت، لبنان، 2002 م،ص41.

[3]مفيد الزيدي:،موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، 2003م،ص13.

وعلى رأس هذه القبائل زعيمها سليمان والد ارطغل، وجد عثمان الذي نسبت إليه الدولة العثمانية، وحاولت هذه القبائل التركمانية المهاجرة أن تعود الى وطنها الأصلي في جنوبي بلاد ماوراء النهر بعدما علمت بوفاة جنكيز خان*، و هزيمة خوارزم شاه على يد سلاجقة الروم[1].

ثم أراد العودة الى بلاده متخذا طريقا سهلة إذ سار الى قلعة جعبر و أثناء عبورهم نهر الفرات سقط سليمان في النهر، و ابتلعه الماء و ذلك سنة 628هـ وكان له أربعة أولاد وهم سنقورتكس و كون طوغدي و أرطغرل و دندان ،وتولى القيادة بعده ابنه سنقورتكس الذي رجع مع أخيه كون طوغدي الى أرضه التي خرج منها ،بينما تابع الأخوان الباقيان المسير الى الشمال الشرقي في سهول أرضروم*، و معهما أربعمائة أسرة ،ثم تولى أرطغرل زعامة القبيلة فأرسل ابنه ساوجي الى السلطان علاء الدين سلجوقي سلطان قونية كي يلتمس منه مسكنا للقبيلة ،و مرعى للمواشي و لكنه أي ساوجي توفي قبل ان يرجع من مهمته.[2]

بفعل الحروب التي اثارها السلطان جلال الدين الخوارزمي و هبطت الى حوض نهر دجلة.[3]

---

*جنكيز خان: جرت ولادته على نهر اونون سنة 1155م وفقا لروايات كثير من المؤرخين غير ان بليو اثبتت انها حدثت سنة 1167م و كان ابوه يسوكاي غائبا وقت ولادته اذ كان يقاتل التتار وقد صرع زعيما لهم اسمه تيموجين و عاد يوكاي مظفرا الى منزله و قد لقا مفاجأة سعيدة و عندها فحص الطفل وجد في قبضة يده قطعة من الدم المتجد فترائى للزعيم المغولي ان هذا ما يشير الى ما احرزه من انتصار على التتار و لذا اطلق على ابنه اسم الزعيم تخليدا لانتصاره، تنظر الى: السيد الباز العريني، المغول،(د ط) النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981م، ص43-44.

[1]مفيد الزيدي:،موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني،المرجع السابق،ص13.

*أرضروم: وهي خمسة الوية، جلد و قارص و ارض روم و بايزيد و مؤش، س .موستراس ، المرجع السابق، ص23.

[2]علي حسون ، المرجع السابق، ص12.

[3]محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2013م، ص24.

"توفي كندز ألب في العام التالي، فترأس العشيرة ابنه طغرل، الذي ارتحل مع عشيرته الى أرزيجان ،و كانت مسرحا للقتال بين السلاجقة و الخوارزميين و ساند طغرل القوات السلجوقية ، فكافأه السلطان السلجوقي بأن أقطع عشيرته ببعض الأراضي الخصبة قرب انقره*. و ظل طغرل حليفا للسلاجقة حتى أقطعه السلطان السلجوقي منطقة في اقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية في المنطقة المعروفة بسكود" حول اسكى شهر،*حيث بدأت العشيرة هناك حياة جديدة و يبدو أن أفراد القبيلة أبدوا شجاعة كبيرة في المعركة[1]،و أثبتوا كفاءة قتالية عالية هذاما لفت نظر السلطان فرغب في استغلال مواهبهم العسكرية في حراسة الحدود مع البيزنطيين و لذلك منح العشيرة تلك الأراضي وطفرطغرل لقب "اوج بكي " وكان منح هذا اللقب يتماشى مع التقاليد التي درجت عليها الحكومة السلجوقية وهو منح أي رئيس عشيرة يعظم أمره و يلحق به عدد من العشائر الصغيرة، لقب محافظ الحدود."[2]"

ولما توفي ارطغل سنة 687هـ الموافق ل1288م عين الملك علاء الدين اكبر أولاده مكانة، وهو عثمان المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية و في هذه السنة ولدت زوجته "مال خاتون" ولدا ذكرا هو أورخان ،و لم يلبث عثمان أن حصل على امتيازات جديدة بعد فتحه قلعة قره حصار سنة 688هـ-1289م، فمنحه الملك السلجوقي لقب "بك " و أعطاه كافة

*انقره: مدينة في تركية الاسوية الاناضول على نهر انقره صويي، يعيش فيها حوالي 30000 نسمة أسس المدينة القريجيون حوالي سنة 650 ق.م حكمها كل من الفرس و العرب و السلجوقيين ثم الفرنجة الذين جاؤوا مع الحملة الصليبية الأولى و ملكوها 18 سنة، ينظر الى : س . موستراس، المرجع السابق، ص115-116.

*اسكى شهر: بلدية في تركية الاسوية، الاناضول في واد يرويه نهر بورساق جايي ثيمبرس في ولاية قداوند كار، لواء كوتاهيه و سلطان اونون مياه معدنية،ينظر الى : س موستراس: المرجع السابق، ص70.

[1]محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة، المرجع السابق ،ص25.

[2]- محمد سهيل طقوش،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الإنقلاب على الخلافة،المرجع السابق،ص25.

الأراضي و القلاع التي فتحها ،و أجاز له ضرب العملة و أن يذكر اسمه في خطبة الجمعة ."[1]

واستطاع عثمان أن يتغلب عام 1299-1326م على الإمارات المجاورة التي نشأت بانحلال حكم السلاجقة و انحطاط الإمبراطورية البيزنطية ،و في سنة 1326م احتل العثمانيون مدينة بروصة ،و جعلوها عاصمة لهم و فيها دفن عثمان الذي مات في تلك السنة "[2]،ثم توفي عثمان فخلفه ابنه أورخان عام 726هـ فأصبحت بورصة عاصمة الدولة.

تولى مراد الامارات العثمانية عقب وفاة والده اورخان بن عثمان، تولى الحكم عام 1360م و في العام التالي لتوليه الحكم فتح ادرنة* و نقل اليها العاصمة بعد أن كانت في بورصة ،ثم فتح الأراضي البيزنطية في الرومان (البلقان*) بحيث جعل القسطنطينية عاصمة البيزنطية محاصرة تماما بالأراضي العثمانية و بفتوحات مراد أصبحت امارة آل عثمان متخاصمة مع كل من العرب و البلغار و ألبانيا.[3]

---

[1] وديع أبو زيدون، تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2003م، ص24.

[2] نفسه، ص22-23.

*ادرنة: ميدنة تركية مشهورة يعود تاريخ تاسيسها الى الامبراطور الروماني ادريان ومنه اتخذت اسمها تقع عند التقاء نهريي مرتيزا وتودجا، على الطريق البري المرتفع الواصل بين مدينة بلغراد ومدينة اسطنبول، كانت عاصمة الدولة العثمانية في الفترة من عام 1366-1453م، وخلال حرب القرم حوصرت واحتلت من قبل البلغاريين والصرب ولكن الاتراك اعادو تحريرها في حرب البقان الثانية. ينظر الى: عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000 مدينة اسلامية، ط1، اوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م، ص35.

*البلقان: هي كلمة عثمانية تعني الجبل ويقصد بها المنطقة الواقعة في جنوب اوروبا يحدها شبه الجزيرة الايطالية شرقا والاناظول غربا وتضم اليونان، البانيا، بلغاريا، رومانيا، يوغسلافيا، وقد كان البقان خاضعا لنفوذ الامبراطورية البيزنطية، ينظر الى : علي حسون ، العثمانيون والبلقان، ط2، المكتب الاسلامي، بيروت، 1986م، ص07.

[3] محمد حرب، العثمانيون في التاريخ و الحضارة،(د ط)، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي، القاهرة ،1994م، ص14.

اتفاق ملك الصرب مع أمراء ألبانيا ضد العثمانيين فيلحق مراد بهذا التحالف في مكان يسمى قوصوه* و تدور في هذا المكان عام 1389م معركة من معارك الإسلام الكبرى ،انتصر العثمانيون فيها و ينهزم ملك الصرب و يجرح و يأسر و يقتل ،و ينتهي تماما استقلال الصرب.[1]

وفي الأخير نستنتج أن من العوامل التي ساعدت على قيام الدولة العثمانية أنها أقوى إمارة بين الإمارات السلجوقية ،كذلك كان لتمسك العثانيون بالإسلام أثر كبير في مستقبلهم الديني و العسكري و السياسي ،فقد هيأ الإسلام للعثمانيين وحدة في العقيدة وحماسا ظاهرا في الدفاع عنها و اجتمعت هنا طبيعة عسكرية صارمة مرتبطة بنزعة قبلية قوية خاصة إبان قيامها، ثم عمل السلاطين العثمانيون على زيادتها و استمرارها حتى غدت سمة بارزة في التاريخ العثماني و خاصة في علاقة العثمانيين بأوروبا النصرانية إضافة الى أنهم قد اتبعوا منذ عهد ارطغرل سياسة حربية نشطة في أن يتم اتساع إمارتهم في الممتلكات البيزنطية في آسيا ،بحيث تكون غزواتهم ضد النصارى في غرب الأناضول و ليس ضد المسلمين في الشرق و الجنوب.

و من هنا قد نجحوا في المراحل الأولى لقيام دولتهم نجاحا باهرا، و حقق ارطغرل توسعا إقليميا جيدا في منطقة الشمال الغربي ،حيث ضم منطقة أسكي شهر و سلك عثمان مسلك أبيه و إستغل ضعف دولة السلاجقة، فأعلن استقلاله مقتديا بغيره من أمراء المنطقة السلجوقية و بذلك عد المؤسس الأول للدولة العثمانية و نسبت هذه الدولة اليه.

---

*معركة قوصوه: السلطان مراد الأول لم يكل قيادة الجيش العثماني الى احد من قادته بل قاده بنفسه و زحف بجيشه لمواجهة قائد التكتل الصليبي ملك الصرب لازارجرينا نوفتش وجد السلطان في تعقب هذا الحلف فادركهم في مكان تجمعهم قوصوه سنة 792هـ/1389م و نشب قتال مرير بين الجانبين تبادلا فيها النصر لاكثر من مرة، ينظر الى: عبد الرحمن بن علي العريني، قيام الدولة العثمانية و حملات التحالف الصيلبي ضدها، 4/3 مجلة الدرعية، السنة الثالثة، العدد العاشر، ربيع الآخر 1421هـ يوليو 2000م، ص1.

[1] محمد حرب، المرجع السابق، ص15.

المبحث الثالث: تطور كل من الدولة المملوكية والدولة العثمانية من مطلع القرن الخامس عشر ميلادي حتى 1453م:

ب1- اوضاع الدولة المملوكية:

والواقع أن هذه الفترة الزمنية تختلف في بعض جوانبها عن الفترة السابقة على الرغم من تكرار مشاهد الفتن والمنافسات التي لا تكاد تنقطع، إلا أن الظاهرة المميزة تكمن في:

1-ازدياد ثروة المماليك الجلبان*،وظهور عجز السلاطين عن ردعهم وذلك ناتج عن ان هؤلاء الاجلاب كانوا في معظمهم عند شرائهم في سن البلوغ.[1]

ولعل من الأسباب التي جعلت المماليك الجلبان يثورون على السلطة لأنهم لم ينشأوا منذ طفولتهم على الولاء الى السلطة والى أستاذهم وبذلك أصبحوا مصدر قلق وفوضى ،جعل السلاطين الى التنحي عن العرش خوفا على سلامتهم الشخصية.

2-اتسمت هذه الفترة بكثرة عزل وتولية السلاطين فلا يكاد السلطان أن يبقى في منصبه أياما بل ساعات وينصب غيره ،فقد حكم خلالها عشرون سلطان لم يكن أحد منهم على مستوى يؤهله على أن يمارس الحكم إلا بواسطة الأمراء كانوا مثالا للفساد[2] ،واعتلى على العرش خلال فترة سنة وشهرين أربعة سلاطين وتولى أربعة آخرون الحكم خلال فترة لا تزيد عن السنتين ،ومن بين هؤلاء السلاطين من حكم دون

---

*المماليك الجلبان: من جلب العربية و ان علامة الجمع في اللغة الفارسية و هم المماليك الذين جلبوا حديثا حيث كان كل سلطان من سلاطين المماليك يعمل على جلب مجموعة من المماليك ابان حكمه لدعم مركزه بين المماليك و ليكونوا مقابل

المماليك القدماء، ينظر الى : حسان حلاق، عباس صياغ، المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية و العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م،ص66.

[1] محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص455.

[2] نفسه، ص455.

الشهرين بل أن منهم من لم تزد مدة سلطنته عن ثلاثة أيام وفيهم سلطان حكم ليلة واحدة.[1]

بعد أن رأى المماليك أن دولتهم في الطريق الى الزوال أصبح همهم الوحيد في تولي كرسي السلطة ولوكان هذا لمدة قصيرة ،محاولا التغلب على منافسيه باي طريقة وهذا من أجل الظفر فقط بمنصب السلطة ،وهذا الامر يدل على عدم أهلية الملوك.

3-حدثت خلال القرن الخامس عشر ميلادي أحداث عالمية أثرت بشكل مباشر على أوضاع الدولة ،وأضفت الخطورة على الاحداث الداخلية ،وأعنى بها الاكتشافات ونمو الدولة العثمانية المضطرد.[2]

ب2- اوضاع الدولة العثمانية :

يعتبر القرن الخامس العشر ميلادي القرن الذي برزت فيه الدولة العثمانية كقوة اسلامية جديدة، فقد عبر قادتها البلقان وتوسعوا فيه واستطاعوا فتح القسطنطينية عاصمة الكنيسة الشرقية، وكان لابد من ظهور تكتلات واحلاف بين الدول الأوروبية النصرانية، لمواجهة التمدد الاسلامي العثماني، كانت هذه التحالفات الصليبية ضد الاسلام أملتها روح صليبية ووجهتها روح صليبية، كانت مبررة من السلطة البابوية[3].

[1] محمد سهيل طقوش،تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام،المرجع السابق،ص 455.

[2] نفسه،ص456.

[3] عبد الرحمن بن علي العريني، المرجع السابق، ص 01.

في عهد السلطان بايزيد الأول: (1399-1403م):

تعرضت الدولة العثمانية لخطر آخر بعد أن انسحب تيمورلنك* في آسيا الصغرى الى عاصمته سمرقند ،فقد نشبت حرب أهلية في الدولة بين أبناء بايزيد على العرش واستمرت هذه الحرب عشر سنوات و انتهت باعتلاء السلطان محمد بن بايزيد، و قد عرف باسم السلطان محمد الأول ،و يسمى أيضا السلطان محمد شلبي (1413-1421م).[1]

في عهد محمد الأول (1413-1421م):

و مع أنه لم تكن له فتوح حربية، فقد أسدى الى الدولة خدمة جليلة إذ أزال آثار هزيمة أنقرة ،و عمل على تنظيم الدولة بحيث مهد الطريق أمام خلفائه السلاطين ليتابعوا سياسة التوسع الإقليمي من جديد سواء في أوروبا أو غيرها.[2]

في عهد السلطان مراد الثاني (421-1451م):

حاصر القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية عام 1422م،ثم هاجم البلقان و احتل صربيا عام 1439م و حارب الهنغاريين بقيادة جون هونيادي، ثم كون هذا الأخير حملة صليبية من فرسان فرنسا و ألمانيا و كدول ممالك اوربية أخرى مما اضطر السلطان مراد الثاني أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات عام 1443 م و أصبح فيها

*تيمورلنك او تيمور كوجان ابن ترغاي بن بن ابغاي يمت بصلة قرابة الى ذرية جنكيز خان من ناحية الام، ولد في قرية خواجه الغان و هي من مدن ماوراء النهر عام 736هـ/1336م لم يحمل لقب خان لعدم انتسابه الى عائلة جنكيز خان من ناحية الاب و حمل لقب امير كوركان التي تعني بلغة المغول الحسن الصهر، وهو مؤسس مملكة المغول الثانية التي لم تستقر بعده كثيرا، ينظر الى : منصور عبد الحكيم، تيمور لنك امبراطور على صهوة جواد،(دط)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة،(دت ن)، ص53.

[1]إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،(د ط) ، مكتبة العبيكان، (د م ن)، (د ت ن)، ص43-44.

[2]نفسه، ص44.

نهر الدانوب الحد الفاصل بين الدولة العثمانية و هنغاريا[1]، ثم تنازل مراد الثاني عن العرش لصالح ابنه محمد و عمره 12 عاما ،و شجع هذا الأمر المجريين و البابا على دعم فكرة خرق هؤلاء للهدنة الموقعة مع العثمانيين و تجديد الحملة الصليبية، فاسترجع مراد الثاني العرش من ابنه و التقى الجيش المتحالف الأوروبي في أدرنة على ساحل البحر الأسود ،و ألحق به الهزيمة الساحقة عام 1444م.[2]

فقد خاض الحرب خلال سنة 1446 م مع أمير المورة و مع إسكندر بك خلال 1448م و 1450م،و تمكن في 1448م تشتيت جيش هونيادي في المعركة الدموية التي جرت في قوصوه كوسوفو/كوسوفا،و حين توفي مراد الثاني في 3شباط/فبراير 1451م كانت الدولة العثمانية قد استردت تماما ما فقدته.[3]

في عهد محمد الثاني*:

استطاع السلطان العثماني محمد الثاني(855-866هـ/ 185-1851-1481م) أن يقدم نموذجا متقدما لزعيم إسلامي يوحد قوى العثمانيين ،و ينطلق بهم في أوروبا بعد ان فتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية و شدد قبضته السلطان على أراضيه ،و حملت مغزا سياسيا و دينياو كان عام 867هـ/1453م[4].

---

[1] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، المرجع السابق ،ص18.

[2] نفسه، ص19.

[3] خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار، تر: محمد.م. الارناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت ، لبنان 2002م، ص37-38.

* محمد الثاني: عقب وفاة مراد الثاني 1451 و تلي ابنه الفاتح العرش بدأت الدولة العثمانية تدخل طور الإمبراطورية ففي عصر السلطان محمد الثاني بدأت تنتعش من جديد بياسة الفتوح و النظام المركزي و اطلق عليه بعض المؤرخون البيزنطيين المعاصر لقب امبراطور روما عندما استولى على عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية،
ينظر الى : اكمل الدين احسان اوغلي، الدولة العثمانية تاريخ و حضارة، تر: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون و الثقافة الاسلامية استانبول، 1999م ،ص23-24.

[4] مفيد الزايدي، موسوعة التاريخ الاسلامي، العصر المملوكي، المرجع السابق، ص 140.

و بعد أخذ القسطنطينية بسبع سنين فتح أثينا عاصمة بلاد اليونان و في سنة 1461م الموافق ل865هـ فتح ايالة طرابزون* وولاية سينوب وفي سنة 866 هـ استولى على جزيرة نسيوسه و إقليم بوسنه، ثم جهز عمارة بحرية بمائة ألف مقاتل لفتح جزيرة رودس ،فحاصرها لثلاثة أشهر ثم طغن عنها و أخذ في إعادة تجريدتين الأولى لفتح جزيرة قبرص و الثانية لمحاربة شاه العجم[1].

فأصبحت حدود الدولة العثمانية في عهد محمد الثاني تمتد حتى جبال طوروس، و بينما كان السلطان محمد الفاتح يتهيأ و يتجهز لحرب جديدة توفي في كبزة عام 886هـ/1481م، وهو في الواحد و الخمسين من عمره و خلال الثمانية و العشرين سنة من حكمه تغلب على امبراطوريتين و على 14 دولة و فتح 200 مدينة و استحق لقب الفاتح.[2]

و لقد شهدت هذه الفترة انتقال الدولة العثمانية مرحليا من مرتبة الإمارة الى درجة الدولة الى الإمبراطورية، و انتقلت عاصمة الدولة أيضا خلال هذه الفترة أيضا بين الأناضول و البلقان من بروسة الى أدرنة الى القسطنطينية، بالإضافة الى حصول تغييرات أساسية في خطوط المواجهة السياسية والعسكرية والثقافية بين العالم الإسلامي وعالم المسيحية ،فقد قلبت موازين الجغرافيا السياسية في ذلك الوقت ،ففي الشرق اختفت الدولة البيزنطية التي كانت تمثل المسيحية الشرقية منذ القرن الرابع ميلادي حتى سقوطها ،بعد الفتح العثماني للقسطنطينية في سنة 1456م.

---

*طرابزون: مدينة تركية اسيوية على البحر الأسود يقطعها حوالي 30000 نسمة كانت احدى مقاطعات سينوب و في عهد ادريان اكنت اهم مدينة على الساحل الجنوبي للبونت اوكسين عاشت حتى سقوط القسطنطينية ولم تسقط امام ضربات السلطان محمد الثاني الا في عام 1460 ينظر الى: س. موستراس، المرجع السابق، ص345-346.

[1] عزتلو يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشاتهم حتى الان، ط1، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م، ص53.

[2] احمد اق كوندز، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة،303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية،(د ط)، وقف البحوث العثمانية، 2008م، ص122.

وفي الأخير لعل أهم سبب جعل الدولة العثمانية في أوج توسعها ،هو قوة تمسك العثمانيين بشرع الله ويقابله ضعف التزام المماليك بمنهج الله.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: التوافق المملوكي العثماني من857هـ- 1453 م.

المبحث الأول: علاقة السلطان محمد الثاني بالدولة المملوكية: (1453-1481م)

المبحث الثاني: علاقة السلطان بايزيد الثاني مع الدولة المملوكية(1841-1491م)

المبحث الثالث: المماليك و العثمانيون في مواجهة الخطر البرتغالي.

الفصل الثاني : التوافق العثماني المملوكي من857هـ- 1453م.

المبحث الأول: علاقة السلطان محمد الثاني مع الدولة المملوكية(1453م،1481م):

إن تولية محمد الثاني الحكم قد أثارت رغبات قديمة عند القرمانيين الذين اعتبروا أن هذا الأمر خطأ لأنه عديم المقدرة و المواهب ،لكي يتولى العرش و ذلك بسبب أن والده مراد الثاني عن القيادة عندما اشتد الخطر في معركة فارنا*، و تولاها هو بنفسه وكان شأن أمير قرمان أنه كلما رقي الى العرش سلطانا جديدا تقريبا يحاول أن يخلع طاعة العثمانيين[1]، و هذا كله بفعل تحريض البيزنطيين له و حرك أيضا أمراء كرميان ومنتش و آيدين، فهجموا على كوتاهية ،فجهز السلطان حملة عسكرية و نجح في إخضاع ابن قرمان الذي التمس العفو فعفا عنه ،و جعل السلطان مقر أمير الأمراء في كوتاهية بدلا من قونية ذلك لأنها قريبة من الحدود ،و لمنع أي تعدي من أولاد قرمان وكرميان.[2]

عندما توفي السلطان جقمق سنة (857هـ/1453م)،جلس بعده على كرسي العرش أشرف سيف الدين اينال*، و في تلك الفترة كان السلطان محمد الثاني مشغولا

---

*معركة فارنا : هي معركة وقعت في 10 نوفمبر 1444 م بالقرب من مدينة فارنا البلغارية بين الدولة العثمانية بقيادة مراد الثاني و بين القوات الاوربية ، شاركت فيها المجر و الكولونية و المانيا و فرنسا و البندقية و بيظنط. ينظر إلى : نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية (معارك ، غزوات، حروب، ثورات، وقعات، أيام ، فتوحات ، مذابح) عبر العصور التاريخية منذ فجر التاريخ حتى عام 2005 م ، ط1، ، دار زهران للنشر و التوزيع ، عمان ، 2011م ، ص381.

[1]غيثاء أحمد نافع، العلاقات العثمانية المملوكية،(868-923هـ/1464-1517م)، تر، تح:5 عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة المصرية للطباعة و النشر،(د م ن)،(د ت ن)، ص61.

[2]نفسه، ص61.

*اينال :784-865هـ/1382-1461م اينال الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين العلائي الظاهري من ملوك دولة الجراكسة بمصر و الشام و الحجاز جركسي الأصل اشتراه الظاه برقوق من الخوجة علاء الدين علي ثم اعتقه فرج بن برقوق ، ينظر إلى : خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقين ،ج2 ،ط2 ،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ص36.

بفتح القسطنطينية العاصمة البيزنطية التي فتحت في(857هـ/1453م)،عرفت شوارع القاهرة احتفالات عارمة بهذا الفتح العظيم.[1]

وكان الفتح منها في يوم الثلاثاء في العشرين من جمادى الأولى ،فلما بلغ السلطان ذلك دقت البشائر بالقلعة و نودى القاهرة بالزينة، ثم إن السلطان عين برسباي* أمير آخور الثاني رسولا الى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم[2]،و عند انتهاء السلطان محمد الثاني من فتح القسطنطينية راسل السلطان المملوكي يخبره بالانتصار الذي حققه في العاصمة البيزنطية ،فرد السلطان إينال المملوكي على رسالته يهنئه بهذا النصر العظيم.[3]

كتب السلطان محمد الثاني في رده على هذه الرسالة و أرسله من العاصمة العثمانية في ذلك الوقت ،و هي أدرنة الى القاهرة و الرسالة مليئة بالمدح و الثناء والدعاء لسلطان المماليك ،و فيها يقدم السلطان نفسه على أنه بمنزلة الابن بالنسبة الى جقمق حيث يقول :"ومن تتمة حديث المحبة الجاري على ألسن المحبة إن نسبة الجناب السلطاني هذا المحب نسبة الأب العطوف وإن شئت قلت نسبة مولى الموالي الى مولى وهو أطوع الموالي.[4]

---

[1]أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام و مصر و مقدماته من واقع الوثائق و المصادر التركية و العربية المعاصرة له ،ط1، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ،1995م،ص42.

*برسباي: هو الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر بن عبد الله الدقماقي الظاهري ، جلس على كرسي السلطنة ف (8 ربيع الثاني 825هـ1421م) وهو السلطان الثاني و الثلاثون من سلاطين المماليك ، بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد بن ططر ابن اياس بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م ن) ، 1984،ص81.

[2]محمد بن احمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح : محمد مصطفى ،ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د م ن) ،1984م، ص316.

[3]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص484.

[4]أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،(د ط)،إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة2002 م،ص159.

و في 20 ذي القعدة سنة(857هـ/1453م)أرسل إينال رده على رسالة الفاتح مع قاصده برسباي الأشرفي: هنأ السلطان المملوكي السلطان العثماني في رسالته بالفتح:" الذي ادخره الله لأيام سعده و هذا النصر الذي من الله تعالى به المسلمين"، وأرسل اليه هدية ليؤكد أسباب الوداد و المحبة و يوثق على الاتحاد، كما هو دأب السالفين الأقدمين من الحكام و السلاطين.[1]

و في سنة 1456م وصلت الى القاهرة سفارة عثمانية ثانية برسالة تنبئ بانتصار محمد الثاني على الصربيين في وقعة نوفوبردا و غيرها من الوقعات الدموية ببلاد يوجوسلافيا الحالية، و أرسل إينال ردا مشابها، و قبل أن يتحرك الأمير المملوكي قانى بك و هو الذي كلفة إينال أن يحمل هذا الرد الى البلاط العثماني، شاع بالقاهرة نبأ وفاة محمد الثاني ثم ظهر كذب هذا النبأ.

فأمر إينال بدق البشائر السلطانية بالقلعة ثلاثة أيام، ثم سافر قانى بك الى القسطنطينية و رجع سنة 1457م محملا بالهدايا الكثيرة.[2]

والواقع إن هذه الإحتفالات كانت في حقيقة أمرها توطئة للنفوس ،لتقبل الزعامة التركية العثمانية الإسلامية الناشئة، فمنذ سنوات لم تحرز أية دولة إسلامية انتصارا مدويا كهذا و الدليل، هو حرص السلطان إينال على استمرار هذه العلاقة الودية.

ولكن العلاقات بين الدولتين بدأت تسوء منذ تولي خشقدم* المماليك(1961-1967م/865-872هـ)،نظرا لتضارب مصالح الدولتين في شرق الأناضول و جنوبه

---

[1] احمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،المرجع السابق، ص161.

[2] أحمد فؤاد متولي ،الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية و العربية المعاصرة له،المرجع السابق، ص44.

* خشقدم: هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد الدين خشقدم بن عبد الله الناصري المؤيدي وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك و أولادهم بالديار المصرية و ألول من ألورام ، ينظر إلى : ابن تغري جمال الدين أبو المحاسن بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة، تق: محمد حسين شمس الدين، الج16 ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ص222.

،فقد بدأ العثمانيون يولون اهتمامه الى الأناضول و يتدخلون في شؤون بعض الإمارات التي كانت مشمولة بحماية المماليك كإمارتي ذو القادر* و القرمان*[1] و بعدها تميزت العلاقات العثمانية المملوكية صفحة جديدة ،و كانت أكثر عداءا و ذلك بسبب دخول العثمانيين الى البلقان ،و بدءوا يتطلعون نحو آسيا الصغرى من أجل دخولها فإن الجزيرة الفراتية فتح لهم الباب ،أما البلاد العربية من أجل تأمين الخطوط الإستراتيجية في كل من بلاد الشام و العراق وصولا الى المحيط الهندي، بالإضافة الى ضم الأراضي المملوكية لأنه يوفر لهم طرقا بحريا يسهل لها المرور نحو بلاد فارس.[2]

في الوقت نفسه كانت دولة المماليك قد سيطرت على قليقيا*، و مع حرص العثمانيين على تجديد الروابط مع المماليك، إلا أن هؤلاء بدأوا يقابلون بشيئ من الفتور تنامي العلاقات بين المماليك و العثمانيين•[3].

ومن هنا نستنتج أن طبيعة العلاقات العثمانية المملوكية تغيرت خاصة بعد فتح القسطنطينية في عام 1453م، حيث تميزت تلك الفترة بتبادل البعثات والهدايا وإقامة الإحتفالات مثل :الاحتفال الذي أقيم في القاهرة بمناسبة هذا الفتح، ويمكن اعتباره اخر

---

*ذو القادر: هي منطقة حدودية في أراضي الدولة المملوكية في بلاد الشام و أراضي الدولة العثمانية في الاناضول ، ينظر إلى : احمد فؤاد متولي ، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، المرجع السابق، ص72.

*القرمان : هي احدى الإمارات التركمانية التي قامت على أنقاض سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى بعد زوالها عام 704هـ/1304م و اتخذت مدينة قونية عاصمة لها، و توسعت حتى سيطرت على مدن أرمناك و لارندة و أقسرا و تعتبر أقوى الإمارات التركمانية بعد الإمارة العثمانية، ينتظر إلى : محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، المرجع السابق ،ص447.

[1]احمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،المرجع السابق، ص162.

[2]مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي، المرجع السابق ،ص141.

*قليقيا: الاسم الذي اطلق في العصور الاولى على منطقة اضنة ومرسين وحواليها، ينظر إلى : سهيل صابان،تر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ،(د ط)، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 2000م، ص195.

• ينظر الى الملحق رقم: (01).

[3]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص486.

مظهر من مظاهر الود بين المماليك والعثمانيين، حيث سعى كلا الطرفين على الحرص على توثيق العلاقات الأخوية بينهما لمواجهة البيزنطيين والأوربيين.

كما لاحظوا بقلق جديد بروز دولة إسلامية قوية أخذت تنمو على حدودهم ،و تشق طريقها الخاص بها و تزايد قلقهم عندما نشطت في العاصمة العثمانية المساعي لتغيير العلاقات بين الدولتين ،بعد أن أخذ البكوات حماة الحدود يتلقبون بألقاب السلاطين.[1]

تمثل أول اختبار علني لهذا التنافس بفضيحة دبلوماسية في عام (868هـ/1463م) في عهد السلطان خشقدم ،عندما رفض السفير العثماني الإنحناء أمام السلطان المملوكي في القاهرة.[2]

و لما توفي كل من أمير قرمان و ذي القادر أوصى إبراهيم بن قرمان ابنه إسحاق على تولية العرش بعده ،هذا ما أدى الى حدوث صراع مع إخوته من أبيه ، حيث التجأوا الى السلطان محمد الثاني ، فقام بمساعدتهم و حارب أخوهم إسحاق، هذا الأخير فر الى أوزون حسن زعيم آلاق قوينلو الذي انتهز هذه الفرصة لكبح نفوذ التوسع العثماني، و قام بتقديم الدعم العسكري و تمكن إسحاق من استرداد ما أوصاه أبوه به ، و هذا ما أفرح السلطان المملوكي ، غير أنه لم يكن مرتاحا عندما علم أن أوزون حسن استولى على قلعة كركر على الضفة اليمنى على نهر الفرات.[3]

و لمواجهة هذا الإعتداء كان لابد للسلطان المملوكي من إعادة إصلاح العلاقة مع العثمانيين ،و التي ساءت في شعبان(868هـ-1464م) فأرسل خشقدم في جمادى الأولى موفدا له الى السلطان العثماني هو السيد الشريف نور الدين علي الكردي عارضا

[1] محمد سهيل طبوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، المرجع السابق، ص486.

[2] نفسه، ص486.

[3] غيثاء احمد نافع، المرجع السابق، ص ص64-66.

عليه إقامة التحالف مملوكي عثماني ضد أوزون حسن ...أما فيما يتعلق بالرد العثماني على حصول هذا التحالف فقد كان سلبيا.[1]

و ذلك بسبب الإهانة التي تعرض لها قاصد العثماني من طرف السلطان المملوكي،فلم يتمكن من أن يقبل الأرض عند وصوله عندما وقف بين يدي السلطان وكاد هذا الأخير أن يفتك به، و لعل أهم سبب جعل العلاقة بين العثمانيين و المماليك تتغير ،لأن الصراع بينهما أصبح من أجل الهيمنة على زعامة العالم الإسلامي السبب الأساسي و الرئيسي للنزاع المملوكي العثماني.

قدم السلطان محمد الثاني بجيشه الى الأناضول من أجل استعادة كل من ملطية و دارندة اللتين كانتا بحوزة السلطان بايزيد الأول قبل موته ،و قد طلب محمد الثاني من الأمير أحمد الإنضمام إليه في حملته هذه ،إلا أن هذا الأخير قرر خلع ولائه و رفض طلبه مما أدى الى غضب و انزعاج السلطان، فانتزع منه العديد من القلاع.[2]

وبمجرد انسحاب قوات محمد الثاني العثمانية ،قام الأمير أحمد و شقيقه من إعادة السيطرة على أركلي و أقسراي وصولا الى أنقرة ...إلا أن الرد العثماني كان سريعا حيث قاموا بهجوم مضاد عام(874هـ/1470م)، كان نتيجة هزيمة الأمير أحمد و شقيقه.[3]

وهكذا تمكن السلطان محمد الفاتح من الإستيلاء وإحكام السيطرة على إمارة القرمان، و ضمها الى الدولة العثمانية التي طالما تحالف أمرائها مع مماليك مصر و غيرهم ضد العثمانيين.

ولقد تحول الصراع على الإمارة القرمانية في العام التالي و قضية ميراث قرمان الى صدام سياسي كبير ،بالإضافة الى استيلاء العثمانيين على قونية عام (873هـ/1468م)وضم الإمارة القرمانية الى الممتلكات العثمانية في عهد السلطان

[1] غيثاء أحمد نافع ،المرجع السابق، ص66.

[2] نفسه،ص66.

[3] نفسه، ص66.

المملوكي قايتباي* أدى الى بداية لمواجهة واسعة، و تحولت الإمارات الفاصلة بين الدولتين إمارة رمضان* في قليقيا و إمارة ذي القدر في كبادوكيا الى ساحة رئيسية للصراع، فساندت كل منهما أمراء التركمانيين الموالين لها و أمدتهم بالمال و السلاح وأحيانا بالقوات المسلحة.

ويبدو أن الدولتين مالتا الى التفاهم في أواخر عهد السلطان خشقدم، و عدم التدخل في شؤون الإمارتين الحدوديتين.[1] ولعل من الأسباب التي جعلت الدولتين المملوكية و العثمانية في أواخر عهد السلطان المملوكي خشقدم تميل الى التوافق والتفاهم ،ذلك لأن السلطان العثماني محمد الثاني كان مشغولا بفتوحاته و توسعاته في أوروبا محاولا تهدئة الوضع في الجهة الشرقية ،و بذلك تمكن من الجهة الأخرى السلطان خشقدم من التفرغ لتسوية مشاكله الداخلية.

وفي عام 1471م ساءت العلاقات العثمانية المملوكية تدريجيا بسبب حوادث حصلت أهمها الاعتداء المملوكي على منطقتي مرعش والبستان،و كان العثمانيون يعتبرونها ممالك العثمانية ،و كان عليها الحاكم شهواربك أخو زوجة السلطان الفاتح و قد أعدم المماليك هذا الشخص في باب زويلة بالقاهرة[2]، و عينوا بدلا منه أخاه شاه بوداك

---

*قايتباي: وهو الحادي و الاربعون من ملوك الترك و أولادهم بالديار المصرية و هو الخامس عشر من ملوك الجراكسة و أولادهم في العدد اقو: و كان اصله جركسي الجنس جلبه إلى مصر الخواجا محمود في سنة تسع و ثلاثين و ثمان مئة فاشتراه منه الملك اشرف برسباي هو و عدة مماليك صغار، ينظر إلى: محمد بن احمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى ج3 ،(د ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د م ن)، 1984 م،ص3.

*امارة رمضان: الرمضانيون اسرة تركمانية وفدت إلى الاناضول في آسيا الوسطى في عهد ارطغرل و استقرت في إقليم اذنة و قامت فيه سلطانها فسيطرت على سيس و اياس و بياس و طرطوس واذنة و غيرها و لعل اول زعيم هو احمد بن رمضان (780-819هـ/1378-1416م) أي في أواخر عهد الدولة المملوكية الأولى وكثيرا ما اغار على اطراف هذه الدولة و نهبها و خلفه بعد وفاته إبراهيم بك (818-830هـ/1416-1927م5) ينظر إلى : محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، المرجع السابق، ص447.

[1] نفسه، ص487.

[2] تيسير جباره، المرجع السابق، ص98.

وقد غضب السلطان الفاتح من هذا العمل، فزادت العلاقات سوءا عندما رفض السلطان المملوكي الملك الأشرف سيف الدين قايتباي السماح للسلطان محمد الفاتح من بناء محطات استراحة للعثمانيين الحجاج على الطرق المؤدية الى مكة المكرمة ،و اعتبرها إهانة له.[1]

فقد وصل الى القاهرة موفدان من قبل الحاكم الهندي زارا البلاط المملوكي أحدهما عام(1475/879م) ،و يحمل للسلطان هدايامن جملتها سبع عظيم و خيمة كبيرة فأكرمه السلطان وخلع عليه، و العام الآخر في(887م/1482م) يحمل هدايا كثيرة فأثيب على الهدية الواصل بها هذا فيما يتعلق بالعلاقة بين ملوك الهند المسلمين و بين سلطنة المماليك، أما فيما يتعلق بعلاقتهم مع العثمانيين فقد انفرد العثمانيون دون سواهم بتبادل السفراء معهم، و حصل ذلك بين السلطان محمد الثاني قبل وفاته و الحاكم البهماني في دولة داكان في الهند محمد شاه الثالث.[2]

قام السلطان محمد الثاني بإرسال موفد الى الهند وعند عودته الى بلاده رافقه مرسل من قبل غوان فاستقبلا في مرفأ جدة ،ولكن ما إن وصلت الى مصر والحجاز أخبار وفاة السلطان محمد الثاني، وتولى بايزيد الثاني الحكم حتى اعتقل الموفدان والهدية الهندية المرسلة التي كانت بحوزتهما من قبل الحاكم المملوكي في جدة ،و أرسلت الى السلطان قايتباي في القاهرة،فإن اعتقال قايتباي لموفدي السلطان العثماني و الحاكم البهماني، جاء في وقت الذي قرر فيه السلطان أن يتجنب الاعتراف بأحد مطالبيه بالعرش.[3]

ومن خلال هذا الموقف الذي قام به السلطان المملوكي قايتباي، يفهم بأن السلطان تعدم على عدم إرسال التهنئة لبايزيد الثاني بعد أن اعتلى عرش الدولة العثمانية، و عدم

[1] تيسير جباره، المرجع السابق، ص98.
[2] غيثاء احمد نافع، المرجع السابق، ص87.
[3] نفسه، ص87.

تعزيته عند وفاة والده،و يمكن القول أن السبب الذي جعل قايتباي الى مصادرة و حجز الهدية الهندية أنه طمع فيها ،و في الأخير فهذا التصرف الذي قام به المماليك يمكن تبريره الى خوفهم من المكانة التي وصلت اليها الدولة العثمانية و توسع سياستها وسيادتها، و ذلك منذ فتح محمد الثاني القسطنطينية خاصة.

المبحث الثاني: علاقة السلطان بايزيد الثاني مع الدولة المملوكية(1481-1491م):

وبوفاة السلطان محمد الفاتح كان ابنه جم*السلطان هو صاحب الحق في تولية العرش من أخيه بايزيد الثاني،ولقد كان له أنصار كثيرون[1] و يعود السبب في ذلك لكفاءته و مهارته فلما علم جم بوفاة والده توجه فورا الى بروسة و أعلن نفسه سلطانا على الاناضول ،و قام باقتراح يقسم الإمبراطورية حيث يتولى بايزيد الحكم في أوروبا وحدها، وفي هذه الأثناء سبق بايزيد الثاني أخاه و دخل قبله الأناضول و تمكن من أن يضمن مساندة الإنكشارية الى طرفه بعد أن أغدق عليهم بالهبات، و بدأت الحرب الأهلية بين الأخوين، و دامت عاما حيث انتهت بانهزام جم الذي لجأ الى الدولة المملوكية التي قامت بمساعدته ،و قام بتكوين قوة صغيرة في حلب انضم اليه عدد من أمراء التركمان الفاريين.[2]

إلا أن جم لم يستطع الصمود في وجه أخيه هرب الى الأناضول،ودخل طرطوس وطلب من نائب حلب الأميرأزبك من أجل أن يسمح له بدخول المدينة، فقام الأميرأزبك بالإتصال الى السلطان قايتباي الذي قد تولى السلطة في مصر فأذن له بالقدوم الى القاهرة مع عدد

*جم: هو ابن السلطان محمد الفاتح، ولد سنة 1469م، وبعد موت والده تنازع جم وأخوه بايزيد الثاني على العرش ولكن الغلبة كانت من نصيب بايزيد، توفي في نابولي، ونقل جثمانه فيما بعد إلى بورصة، ودفن فيها .ينظر إلى : M.LaméFleury,Biographie élémentaire des personnages et littératures,librairé de p.Durant,Paris,1839,p592.

[1]محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط2 ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة، 2001م، ص190.

[2]احمد عبد الرحيم مصطفى،في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق ، بيروت، 1986م، ص74.

قليل من عساكره، فوصل هناك شهر شعبان عام(886هـ/1481م) و قام السلطان قايتباي باستقباله بحفاوة ،هذاماجعل السلطان بايزيد الثاني يثور من الغضب .[1]

حاول الأمير أثناء مكوثه في القاهرة إقناع السلطان قايتباي بإمداده بالمساعدات لمحاربة أخيه،إلا أن السلطان المملوكي لم تكن له أي نية للاصطدام بالعثمانيين، و كان سبب قبوله لحضور جم اليه القاهرة حيث اعتبره بمثابة ورقة رابحة يساوم بها العثمانيين في هذه المرحلة، و لهذا السبب أخذ يتوسط الصلح بين الأخوين إلا أن بايزيد الثاني رفض اقتراحات قايتباي و أخيرا عاد جم الى بلاده (887هـ/1482م) على غير رغبة السلطان.[2]

وعندما دخلت قوات جم الجديدة الأراضي العثمانية في قيليقية في 19 مايو 1482م لم يجد كثيرا من الأنصار الى جانبه ولم يستطع الحصول على أية مساعدة من الدفشرمة أو الأستقراطية فأصابه اليأس من الوصل الى عرش الدولة العثمانية.[3]

ولعل من الأسباب التي جعلت السلطان بايزيد الثاني يرفض الإقتراح الذي طرحه أخوه السلطان جم بتقسيم الإمبراطورية العثمانية الى قسمين بسبب أنه كان يدافع على وحدة الإمبراطورية وابقائها متماسكة ففي المرحلة تفاقمت المشاكل بين بايزيد و المماليك ،و ذلك بسبب إيواء السلطان جم و استقباله بحفاوة من قبل السلطان المملوكي.

فآثر الهرب الى جزيرة رودس واحتمى بفرسان القديس يوحنا ،الذي وعدوه بالتوسط لكسب الأنصار في أوروبا ضد أخيه[4]،لكن سرعان ما بدأت المفاوضات بين رئيس قديس

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام،المرجع السابق، ص487.

[2] نفسه، ص487-488.

[3] احمد عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق ،ص75.

[4] نفسه، ص73-74.

يوحنا و السلطان العثماني بايزيد الثاني من أجل توقيع الصلح نصت على ضرورة إبعاد جم عن رودس حتى لا يسبب المشاكل و القلق لبايزيد الثاني.[1]

و قام ملوك أوروبا بزيارة جم على طول السنوات الثلاث عشرة التي استغرقها اثناء أسره ،وفي هذه الفترة تعرض السلطان بايزيد الثاني للعديد من الإبتزازات المستمرة ،و في عام 1482م تقرر إرسال جم الى البابا أنوسنت الثامن الذي كان يفكر في اثارة حملة صليبية[2]

وفي هذه النقطة لم يدرك المؤامرات التي كانت تحاك و تدبر من حوله ،حيث كانت الدول الأوربية دائما تحاول استغلاله في كل فرصة تتاح لهم و إثارة المتاعب الى بايزيد لتنفيذ مخططاتهم.

ولقد نتج عن هذا تجمع العديد من الأسباب لدى السلطان العثماني قرر استغلالها و اتخذ منها موقفا عدائياواضحا و علني من السلطة المملوكية ،و تصرف على هذين المحورين هما:

الأول: قام بمساندة علاء الدولة عسكريا بن ذي القدر بمهاجمة ملطية التي كانت تابعة للمماليك في عام (888هـ/1483م)[3].

الثاني: إحكامه السيطرة على الطرق التجارية و على أهم مصدر خام بالغ الأهمية عند المماليك وهو أخشاب السفن و حال إلى إضعاف قوتهم و طاقتهم العسكرية و عرقلة شراء الفتيان في أسواق البحر الأسود لنقلهم الى مصر، وهذا يعتبر أحد الأسباب الرئيسية للنشاط العثماني في شبه جزيرة القرم و القوقاز، بالإضافة الى حملة العثمانيين على تشيركاسياعام (889هـ/1484م) ،حيث دمرت المراكز الأساسية التي كانت تؤمن الإمدادات البشرية للمماليك.[4]

---

[1] غيثاء احمد نافع، المرجع السابق ،ص88-89.

[2] احمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق،ص75.

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص488.

[4] نفسه، ص 488.

إلا أن السلطان المملوكي قايتباي لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذه التحديات العثمانية ،و قام بإرسال حملة عسكرية قادها أمير صلاح تمزار الشمسي من أجل تأديب علاء الدولة بن ذي القدر، و كان الإنتصار لصالح الأمير المملوكي على علاء الدولة وحلفائه العثمانيين و عاد الى حلب محملا بالكثير من الغنائم و الصناجق العثمانية.[1] وقتل نحو أربعين ألف منهم وأسر جماعة من أمرائهم في محرم من عام(895هـ/1486م)،ثم عقد صلح بين المماليك والعثمانيين و بمقتضى ذلك الصلح تم إعادة الأسرى العثمانيين لبلادهم [2]، و نهب بركهم و أخذوا سناجق ابن عثمان و دخلوا بها الى حلب وهي منكسة[3].

مما أدت هذه الصدامات التي وقعت مع علاء الدولة ذي القدر في أعوام (888-890هـ/1483-1485م) الى نشوب أول حرب مملوكية عثمانية و يبدو أن السلطان المملوكي كان يفضل أو يميل الى السلام على الحرب، فقام بإرسال بعثة الى إستانبول في شهر صفر من عام 890هـ شهر شباط عام 1485م ترأس هذه البعثة الأمير جاني بك حبيب امير آخور ثاني للقيام بمباحثات من أجل إزالة أسباب العداء[4]،أما بايزيد الثاني لقد رأى نفسه في وضع ملائم يسمح له بالتدخل في وضع الدولة المملوكية، و كان هذا تمهيدا للتمدد على حسابها في الجنوب حيث قام السلطان العثماني بإستقبال الرسول المملوكي أسوأ استقبال و رفض إحلال الصلح بين الدولتين.[5]

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص488.

[2] محمود السيد، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، (د ط)، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2004م ص154.

[3] محمد بن احمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، المصدر السابق، ص210.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص489.

[5] نفسه، ص 489.

وفيه جاءت الأخبار من حلب أن عسكر بن عثمان قد استولى على قلعة كولك وكان بها شخص من مماليك سلطان يقال له طوغان الساعي ،فلما حاصروه سلمها اليهم بالأمان.[1]

و اكتشف علاء الدولة في هذا الوقت أنه أوقع نفسه بين فكي الكماشة المملوكية و العثمانية مدركا أنه لم يسلم من تعديات السلطان العثماني و محاولاته الحثيثة والمتكررة على المنطقة ،فراسل السلطان قايتباي و أرسل اليه في شهر ذي الحجة عام (890هـ/1485م) رسالة يطلب فيها إقامة الصلح.[2]

و يمكن القول انه بهذه الطريقة تمكن علاء الدولة من إخراج نفسه من دوامة الصراع القائم بين الدولة العثمانية و المملوكية.

و على هذا الوضع لم يركن السلطان العثماني بايزيد الثاني على الهدوء و السلم بل قام ليثأر بالهزيمة التي حلت بقواته فزحف بجيش كثير و كثيف نحو الأراضي المملوكية ،و قام من الجهة الأخرى السلطان قايتباي بتجهيز حملة عسكرية ضخمة نجدة للأمير أزبك تولى قيادتها الأمير يشبك الجمالي.[3]

ومن الجهة الأخرى حاول استعادة الأمير جم أخي، السلطان العثماني بايزيد الثاني فرسان القديس يوحنا لكي يتخذ منه وسيلة ضغط، إلا أن ملك فرنسا رئيس الفرسان لم يجبه الى طلبه و قام السلطان المملوكي بإطلاق سراح الأسرى العثمانيين ،و لقد كان من بينهم الأمير أحمد بك بن هرسك،[4]فإن إطلاق السلطان قايتباي سراح الأسرى العثمانيين دل على شيئ واحد أنه انتهج سياسة دبلوماسية سلمية، وفي نفس الوقت احتاط

[1] محمد احمد بن اياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، المصدر السابق ،ص218.
[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص489.
[3] نفسه، ص490.
[4] نفسه،ص490.

و جهز نفسه عسكريا ، فقد أثبت رغبته في الميول الى السلم إلا أن جانب الصدام والحرب تغلب عليه.

قام السلطان العثماني بإرسال أسطوله الى شواطئ الإسكندرية من أجلا أن يقطع الطريق على الجيش المملوكي، الذي زحف باتجاه الشمال إلا أن عاصفة هوجاء هبت عليه فغرقت معظم سفنه ،و بذلك فشلت خطة بايزيد الثاني في قطع الطريق على أزبك،الذي استمر في تحركه حتى وصل الى أذنة و استولى عليها.[1]

و قد استمر بايزيد الثاني على عدائه مع المماليك خاصة بعد الهزيمتين اللتين تعرض لهما، إلا أن عسكر ابن عثمان قد استولى على سيس و على طرطوس و غير ذلك من البلاد الحلبية.[2]

و نظرا لسوء الحالة الإقتصادية و انتفاضة الجلبان لم يتمكن السلطان قايتباي من إرسال حملة أخرى ،لطرد العثمانيين من المناطق التي استولوا عليها فمال الى الصلح واستقبل في شهر جمادى الآخرة عام 894هـ/ أيار عام1489م رسولا عثمانيا أرسله الصدر الأعظم داوود باشا ،يهدف الى إحلال السلم بين الدولتين فاشترط السلطان المملوكي إطلاق سراح الأسرى المماليك ،و تسليم مفاتيح القلاع التي استولى عليها بايزيد الثاني ،إلا أن هذه المفاوضات باءت بالفشل ولم يسفر بأي نتائج إيجابية[3]، فكان لا بد من الإصطدام لتقرير المصير و تقدمت القوات العثمانية باتجاه الأراضي المملوكية عن طريق حلب ،فأرسل ماماي الخاصكي الى المعسكر العثماني ، و لما استبطأ بعودته تحرك بجيشه على الأراضي العثمانية ،حتى وصل الى قيصرية فنهب عدة قرى تابعة لها وأحرقها.[4]

---

[1] احمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصرومقدماته من واقع الوثائق والمصادرالتركية والعربية المعاصرة له ، المرجع السابق،48.

[2] محمد احمد بن اياس الحنفي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج3، المصدر السابق، ص261.

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص491.

[4] نفسه، ص 491.

ثم استولى على كوراه و عاد بعدها الى القاهرة منتصرا في محرم 896هـ 1491 م.[1] لم يأمن قايتباي جانب العثمانيين ،فأخذ يستعد لما تاتي به الأيام ،و أثناء الإستعداد قام سنة 896هـ/1491م رسول من قبل بايزيد الثاني صحبة ماماي الخاصكي يعرض الصلح، قبل السلطان المملوكي الصلح.[2]

ونتيجة لوساطة باي تونس عقدت اتفاقية سلام بينهما في عام 896هـ/1491م[3]تتركز على البنود التالية :

- تسليم العثمانيين لمفاتيح القلاع التي استولوا عليها بما فيها ادنة و طرطوس.
- اعتبار هذه الأماكن المتنازع عليها مشمولة بحماية الحرمين الشرفين مكة والمدينة ، و هي طريقة متبعة منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب، بحيث أن واردات هذه الأماكن كانت تعود الى فقراء مكة و المدينة ،فمدينة أركلي مثلا كانت كلها وقفا على الفقراء و المجاورين للمدينتين المقدستين الى أن توسع محمد باشا الصدر الأعظم العثماني على حسابها عام 874هـ/1470م.
- [4]فأرسل بايزيد الثاني رسولا من قبله الى القاهرة بصحبة ماماي الخاصكي.[5] و عند وصولهم الى طرسوس بعث ماماي رسالة الى نائب دمشق موقعة بتاريخ 11 ربيع الآخر من عام 896هـ-1491م تتضمن موافقة السلطان العثماني على مطالب المماليك ،و تؤكد على استعداده للإنسحاب من كيليكيا، و فور تلقيهم ماماي والوفد العثماني ،جوابا على طلب الصلح توجهوا الى دمشق، فدخلوها في

[1]احمد فؤاد متولي ،الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له،المرجع السابق ، ص50.

[2]نفسه ،ص51.

[3]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ،المرجع السابق ،ص491.

[4]غيثاء احمد نافع، ، المرجع السابق ،ص149.

[5]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص491.

22 جمادى الأولى حيث استقبلوا استقبالا حارا و خرج لملاقاتهم عساكر الشام و زينت دمشق ،و حمل الناس السرور و اصطفت خلائق لاتعد و لاتحصى.[1]

توقفت الحرب بين البلدين مؤقتا،واستمرت عملية تبادل الرسل والسفارات والهدايا وتنشيط التبادل بينهما.[2]

توفي السلطان قايتباي سنة901هـ/1496م)،فتولى بعده ابنه محمد (904-901هـ/1498-1496م)، قام السلطان الجديد بإرسال خايربك الى السلطان العثماني بايزيد الثاني ،لكي يخبره بنبأ اعتلائه العرش حتى تظل علاقات الود قائمة بين الدولتين.[3] أما الأيام الأخيرة لقايتباي،فمع أنها كانت سلما في الخارج كانت أيام بؤس في الداخل فالطاعون شجا مصر، نزل في القاهرة بشكل مروع حتى مات بسببه في يوم و ليلة اثنا عشر ألفا ،و فقد السلطان المسكين زوجته الوحيدة ،و ابنته أيضا في يوم واحد و قد قضى على ثلث المماليك.[4]

ويمكن القول أن سبب الصراع المملوكي العثماني في عهد بايزيد الثاني ،هو تجاوز الدولتين منذ أن ضم محمد الفاتح إمارة ذي القادر الواقعة في كيليكيا، و كانت تضم مدينتي مرعش و البستان و حين حاول المماليك إزالة علاء الدولة حاكم ذي القادر رغبة منهم في تولي أمير منهم ساند حكم قيسرية العثماني علاء الدولة و غزا الأراضي المملوكية.

و بخصوص إيواء السلطان المملوكي قايتباي لأخ السلطان العثماني بايزيد الثاني جم، كان خطأ منه سواء كان الهدف من ذلك من باب المروءة و الشهامة ،أو لغرض

---

[1] غيثاء احمد نافع، المرجع السابق، ص150.

[2] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر المملوكي،المرجع السابق ،ص145.

[3] احمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركيةوالعربية المعاصرة له ،المرجع السابق، ص51.

[4] السيروليم موير، المرجع السابق، ص175.

سياسي و خاصة عندما فشل جم في الإغارة على الأراضي العثمانية،فقد كانت هذه الخطوة التي قام بها السلطان قايتباي سببا في تأجج الحقد في نفس السلطان العثماني.

مما أدى الى نشوب و قيام حرب مملوكية 1485-1491م وهي لم تتعد كونها سلسلة من المناوشات ،التي انتصر فيها المماليك في البداية ،ولم يستطيعوا المواصلة في انتصارهم و ذلك نتيجة أحوالهم و مشاكلهم الاقتصادية و السياسية ،فهذه الانتصارات التي أحرزها المماليك ضد العثمانيين كشفت و أظهرت القناع عن أطماع العثمانيين في الاستيلاء على باقي إمارات آسيا الصغرى، و التوسع على حساب الدولة المملوكية وفي النهاية عقد الصلح بموجب توقيع معاهدة السلام بين الدولتين، كما كانت في السابق إمارة القرمان تحت النفوذ العثماني و إمارة ذي القدر و رمضان تحت النفوذ المملوكي ،أي كما كانت عليه في السابق وساد السلام بين الطرفين.

المبحث الثالث: العلاقات العثمانية المملوكية و التعاون في مواجهة البرتغال:

" ارتبط تاريخ البرتغال التجاري منذ أوائل القرن السادس عشر ميلادي بالكشوف الجغرافية، و الواقع أن حركة الكشوف هذه التي تم قسم كبير منها في القرن الخامس عشر ميلادي، كانت أهم نتيجة عملية للنهضة الأوروبية فقد استطاع الملاحون الاوربيون ،أن يحققوا أعظم نصر في هذا المجال في أواخر ذلك القرن تمثل في حادثتين :

الأول: اكتشاف الأمريكيتين ابتداء من عام 898هـ/1492م.

الثاني : كشف الطريق البحري في أوروبا و الهند بالاتفاق حول إفريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح عام (904هـ/1498م)[1].

ومن هنا نستنتج أن ظهور البرتغاليين على مسرح الأحداث ،تزامن في نفس الوقت الذي رفعت فيه إسبانيا مجدا لراية الأعداء الإسلام ،الذي عقد عنداستسلام غرناطة في 897هـ/1492م ،كان مجرد هدنة قصيرة للاستعداد للقيام بحرب صليبية جديدة، و مهاجمة قواعد المسلمين البحرية في شمال إفريقيا، حيث برز البرتغاليون وداروا حول رأس الرجاء الصالح ،و كان هذا بمثابة بداية انقلاب عظيم في تاريخ التجارة بأكمله.

"وهناك العديد من العوامل و الأسباب التي ساعدت على اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح الذي كان فاسكودي غاما قائد هذا الكشف الجغرافي و لعل أهم هذه الأسباب مايلي[2]:

1- الرغبة في التخلص من الرسوم الجمركية الباهظة التي فرضتها السلطات المملوكية عندما كانت تمر السفن من الأراضي المصرية و الشامية .

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق،ص550.

[2] نفسه، ص550.

2- من اجل ضرب احتكار كل من البندقية و مماليك مصر و الشام و حرمانهم من مصادر ثرائها.

3-رغبة رعايا دول أخرى غير البندقية،و خاصة التجار في دخول الى ميدان التجارة الشرقية والاستفادة من الأرباح الوفيرة لصالحهم.

4-كذلك لعب العامل الديني دورا في السياسة البرتغاليين رغبة في تحويل المسلمين في غربي إفريقيا المناطق الأهلة الى المسيحية[1] و نظرا لما كانت تحققه التجارة الشرقية من أرباح فادحة لتجارها في نقل هذه التجارة الى الشواطئ الأوروبية وبيعها في أسواق أوروبا ،و أدت الرغبة في السيطرة على أسواق هذه التجارة الى تضافر العديد من العوامل الأخرى الى دخول البرتغال على خط التجارة في الحر الأبيض المتوسط بالتراجع و التقلص.

وبمجرد ان وصل البرتغاليون الى الهند عن طريق راس الرجاء الصالح، قاموا بانشاء دور إقامة و مراكز و قواعد تجارية مسلحة على سواحل البلاد ،و بسطوا سيطرتهم العسكرية و التجارية من اجل احتكار التجارة و نقلها الى اوربا، و اخذت السلعة الشرقية تأخذ طريقها الى السفن البرتغالية الى لشبونة مباشرة ثم توزع من هناك الى جميع اقطار اوربا، و من خلال اغراءات تسويقية و بذلك صارت البرتغال وسيطة التجارة بين الشرق و الغرب.[2]

وكان هذا الخطر جسيما يهدد الدور العالمي للتجار المسلمين، و لدولة سلاطين المماليك بشكل خاص حيث كانت تستفيد بشكل كبير من هذه التجارة التي كانت تمر عبر مصر.[3]

---

[1]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، المرجع السابق ، ص 550.

[2]نفسه ،ص552.

[3]قاسم عبده قاسم ، علي علي السيد،الأيوبيون و المماليك التاريخ السياسي و العسكري، (د ط)،عين للدراسات والبحوث الإنسانيةوالإجتماعية،الجيزة،(د ت ن)،ص213.

وقد نتج عن هذا التحول في طريق التجارة إصابة التجارة الشرقية خاصة مصر، والشام و جمهورية البندقية الى ضرر و تزعزع قوتها و مصدر ثرائها، يعتبر هذا هدف البرتغاليين في تدمير تجارة المماليك إضافة الى توسيع تجارتهم عن طريق فتح أسواق جديدة لهم

و كانت هذه العلاقات توفر للعرب مركزا مرموقتا و ربحا حلالا ماديا يرفع بعض الشيئ من مستواهم المعاشي ...حيث كانت تصلهم بحضارات الشرق و الغرب و تفتح عيونهم عما يجري في هذا العالم من احداث و تتيح لهم المشاركة في المدنية الإنسانية ياخذون منها و يعطونها ، يسترفدونها و يرفدونها ، و كما اكتشفت الغرب الطريق البحرية حصل العكس من سوء الحالة الاقتصادية و الانعزال ...الخ [1].

اخذ البرتغاليون يستثمرون اكتشافاتهم لراس الرجاء الصالح بكشل قرصنة بقوة السلاح والسيف، فقد تعرض الأهالي و التجار الأبرياء الى جميع أصناف التعذيب دون رحمة او شفقة و لم يسلم منهم حتى صيادي الأسماك، فقد قدم فاسكودي غاما نموذجا حيا للارهاب الصليبي الجماعي، ففي عام 907-911هـ/1502-1506م قاموا باجتياح شواطئ المحيط الهندي فقاموا بالإستيلاء على السفن التجارية المملوكية وأحرقوها بمن عليها من الحجاج المسلمين و صادروا معظم شحناتها من التوابل الهندية.[2]

و عندما تكرر هذا الأمر استنجدوا بالسلطان الغوري ليساعدهم في مواجهة الخطر البرتغالي ،و ذلك بسبب أن دولة المماليك كانت من أقوى الدول الإسلامية و لها مصالح مباشرة مع الهند ،بالإضافة الى امتلاكها الأسلحة النارية الحديثة التي يمتلكها البرتغاليين أيضا و قامت البندقية بإرسال سفيرها "فرانسواتالدي" الى القاهرة من أجل التفاوض مع

[1] قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الاساطير ، ط2 ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت، لبنان ، 1992م ،ص357.

[2] غيثاء احمد نافع، المرجع السابق،ص157.

السلطان المملوكي قانصوه الغوري سرا في وسائل الممكن اتباعها لمنع توسع البرتغاليين التجاري في مياه الهند.[1]

حيث قدمت البندقية أجزاء السفن و نقلها المماليك الى البحر الحمر و ركبها ملاحو المسلمين، و ساروا بها نحو الجنوب بل بلغ الغيظ بسلطان المماليك مبلغا دفعه الى الكتابة لبابا يهدده و يسبه و يأمره بالكف عن هذا الغي والأذى[2]

حيث تجمع الأسطول المملوكي بقيادة الحسين كردي في ميناء جدة نائب جدة ،وأخذ يبحث عن الأسطول البرتغالي فالتقى به أمام مدينة غوا على ساحل الملبار، وكان قائده يدعى فرانسيسكو وهو ابن حاكم الهند البرتغالي (لورانزود الميدا) فانقض عليه أمير الحسن الكردي و انتصر انتصارا حاسما و قتل في المعركة البحرية و رجع الى مدينة ديو منتصرا،وأقام فيها عدة أشهر حتى انقض فصل الأمطار و على إثر هذه الهزيمة التي لحقت بالأسطول البرتغالي ،قام ألميدا الكبير الذي توفي ولده و استغل فرصة ذهاب الأسطول الهندي و المملوكي الى جزيرة ديو و فاجأه و أوقع به الهزيمة و اضطر قائده حسين الكردي الى الانسحاب.[3]

ويمكن إرجاع السبب المباشر وراء التي تعرض لها الأسطول المملوكي عند مواجهة البرتغاليين، ذلك ان دولة المماليك دولة برية بينما دولة البرتغال بحيرة و الصراع بينهما كان في البحار، إضافة الى أن السفن المملوكية التي كانت تواجه دائما الأسطول البرتغالي هي سفن تجارية و ليست حربية .

---

[1] فاروق عثمان أباظة، اثر تحول التجارة العالمية من رأس الرجاء الصالح إلى مصر و عالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر ، ط2، دار المعارف، القاهرة ، (د ت ن) ،ص104.

[2] حسين مؤنس، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط2، المطبعة الحجازي بالقاهرة ، 1938م، ص44.

[3] عبد السلام الترمانيني ، التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ، من(751هـ-1000هـ/1250-1591م) ج4، ط1، دار طلاس ، (د م ن)،1997م، ص572.

هزت هذه الخسائر السلطان الغوري و تيقن أن احتياطه من الأموال يتناقص ويتراجع على عكس البرتغاليين الذين بدأت تزداد قوتهم يوما بعد ،و أخذت أملاكهم تتسع و تنشط تجارتهم.[1]

فان اتساع نشاط البرتغاليين التجاري في الهند و سيطرتهم على مصادرها من التوابل و الحرير و العطور و غيرها من السلع الشرقية، أدى الى عدم وصول هذه السلع بكميات كبيرة و كافية الى دولة المماليك بعدما كانت هي التي تسيطر عليها، و بذلك تأثرت مداخيل المماليك بسبب القرصنة البرتغالية ، و دخلت الدولة تعاني من ازمة اقتصادية و مالية كبيرة.

و مع تصاعد الخطر البرتغالي و بعد هزيمة ديو اتخذ السلطان المملوكي قانصوه الغوري قرار بطلب المساعدة من العثمانيين،و كان المماليك يدركون أن هذه المساعدة ستكلفهم ثمنا السياسي فيما بعد و بالفعل تم الاتصال بالسلطان العثماني وقدم لمهم ما يحتاجونه دون مقابل ذلك لإعادة بناء الأسطول من الأخشاب و السلاح و أدوات كما قدم ألفين من البحارة العثمانيين بقيادة سلمان الريس الذي تعاون مع حسين الكردي في الحملة البحرية المصرية الثانية.[2]

و قام بالضغط على البندقية لتمده بمساعدات عسكرية إذ أن في هذا الوقتشدد البرتغاليون قبضتهم على مياه الهند و ترصدوا السفن المملوكية عند مدخل الخليج العربي و البحر الأحمر و صادروا شحناتها، و مع ذلك لم يخرج الاسطول المملوكي الموجود في البحر الأحمر للتصدي لهذه التعديات.[3]

---

[1] محمد سهيل طقوش تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص554.

[2] نادية محمود مصطفى، العصر المملوكي (بين تصفية الوجود الصليبي إلى الهجمة الأوروبية الثانية) ، مركز الحضارات للدراسات السياسية ،(د م ن) ، (د ت ن)، ص160.

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص554.

التقى الأسطول المصري و العثماني مع الأسطول البرتغالي بقيادة (البوكيرك) في معركة بحرية أمام مدينة غوا على ساحل الملبار، إلا أن الأسطولين العثماني و المصري لم يحققوا النصر و البوكيرك يحتل غوا و يجعلها عاصمة له و قاعدة لأسطوله و مركز تجارة البرتغال.[1]

أما بخصوص الأمير حسين كردي، فقام باتجاه بعد هذه الهزيمة الى جدة هو ومن بقي معه من السفن فقام بتحصينها بعدماو صلته أنباء عن محاولة البرتغاليين للدخول الى البحر الأحمر ، فطلب من الأمراء الهنود المسلمين مساعدة مالية من أجل تحصين المدينة بشكل جيد و رفض العودة الى مصر قبل أن يثأر لهذه الهزيمة.[2]

و من ناحية أخرى قام السلطان المملوكي قانصوه الغوري بتجهيز حملة أخرى لمواجهة البرتغاليين ،و عندما تحرك أسطوله نحو شواطئ الهند في شهررمضان عام 921هـ تشرين الأول /1515م رفض السلطان طاهر بن عامر الثاني بن عبد الوهاب تقديم الموانئ و القوى البشرية منتهكا بذلك كل التزامات التحالف مع المماليك، و قد أدت خيانة السلطان الطاهر الى إرباك مخططات المماليك فتأجلت الحملة على الهند ،و ظل الأسطول المملوكي راسبا عند شواطئ جزيرة قمران ثمانية أشهر منهمكا ببناء تحصينات دفاعية .[3]

فقد كان السلطان المملوكي قانصوه الغوري مقتنعا، بان ازدياد نفوذ البرتغاليين في الهند قد يقضي على مصالحه و هيبته أمام العالم، فكان لا بد له أن يعمل كل مافي وسعه على مواجهة هذا الموقف و لكن الحاجة الى الأخشاب لإعادة بناء الأسطول العربي ،إضافة الى المشاكل و الأزمات المالية و الإقتصادية و الظروف الداخلية التي كانت تعاني منها من الأوبئة و قحط ... و غير ذلك.

---

[1] عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق،ص585.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، المرجع السابق،ص554.

[3] نيقولاي إيفانوف، المرجع السابق، ص120.

كانت هذه العوامل بمثابة عراقيل تواجه المماليك في مواجهة البرتغاليين وتوسعاتهم،أما التعاون العثماني المملوكي في البحر الأحمر قد أثمرت نتائجه فلم تكن مساعدة العثمانيين للمماليك دون مقابل ،وذلك أن مؤشرات الصدام بين المماليك والعثانيين أخذت تتجسد قبل أن تبدأ الحرب البحرية الثانية المصرية، فقد أدى انتصار السلطان سليم الأول على الشاه إسماعيل الصفوي الى تحويل انتباه المماليك من الجنوب الى الشمال ،في حين كان السلطان قانصوه الغوري يحرك قواته الى الشام بدا السلطان سليم الأول يعيد حساباته تجاه مصر وبلاد الشام فقد كانت موقعة جالدران ليست نهائية إلا أن انسحاب السلطان سليم الأول من تبريز قبل أن يواصل القتال مع الصفويين بعد هزيمتهم من أجل الانتهاء من المماليك.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : التوسع العثماني في البلادالعربية (بلاد الشام و مصر)922هـ-923هـ/ 1516-1517م.

المبحث الأول : أسباب توجه الدولة العثمانية من الغرب إلى الشرق.

المبحث الثاني : أسباب الضم العثماني لبلاد الشام و مصر.

المبحث الثالث : مراحل التوسع العثماني في بلاد الشام ومصر(معركة مرج دابق والريدانية).

المبحث الرابع : النتائج المترتبة عن الضم العثماني لبلاد الشام و مصر .

الفصل الثالث: التوسع العثماني في لبلاد العربية (بلاد الشام ومصر) 922هـ-923هـ/1516-1517م.

المبحث الأول: أسباب توجه الدولة العثمانية من الغرب إلى الشرق:

كانت الدولة العثمانية في الوقت الذي اعتلى فيها السلطان سليم الأول العرش العثماني كانت قد وصلت إلى مفترق طرق ،فهل ستظل على هذا الوضع وهذا القدر من الاتساع دولة أناضولية بلقانيه؟ وتستمر في التوسع الإقليمي في أوروبا أو تتجه نحو المشرق الإسلامي.[1]

فقد اختلف المؤرخون حول الأسباب التي جعلت السلطان سليم الأول يغير سياسة دولته الخارجية ،حيث يرجحها بعض المؤرخين أن التوسع الذي حققته الدولة العثمانية في أوروبا هذه المرحلة جعلها من تغيير موقفها من هجومي إلى دفاعي.

إن عجز الدولة المملوكية في التصدي للقوى الجديدة وهما الدولة الصفوية التي ظهرت كقوة توسعية كبيرة وتوجهات مذهبية بالإضافة إلى ازدياد النفوذ البرتغالي في البحر الأحمر ومنطقة الخليج ،جعل من السلطان العثماني سليم الأول يوقف فتوحاته في أوربا ويوجهها نحو المشرق العربي، فقد اعتبرت الدولة العثمانية نفسها حامية الإسلام والمسلمين.[2]

1-وهناك من يرى أن التشبع العسكري في أوروبا إذ أن الدولة العثمانية في أوروبا قد وصلت إلى مرحلة التشبع والإكتفاء في فتوحاتها وتوسعاتها الغربية في أواخر

[1] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، 2001م، ص176.

[2] عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية و أثارها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا، ط1، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1987م، ص48.

القرن الخامس عشر ميلادي، ولابد لها من بديل للتوسع فيه في بداية القرن السادس عشر فكان المشرق العربي ميدانا جديدا للنشاط والتوسع.

2-فمن حيث الأسس المذهبية فقد تخوف السلطان سليم الأول انتشار دعاة القزلباش من طرف الشاه إسماعيل في شرقي الأناضول لنشر الدعوة الصفوية فخشي من دخول آلاف التركمان في المذهب الشيعي ،و ذلك يشكل خطر كبير و مباشر على الدولة العثمانية بالإضافة إلى انه انزعج من توسعات الصفويين.[1]

ومن حيث الاعتبارات السياسية فقد كان الأناضول امتدادا طبيعيا للأراضي الإيرانية و أراضي آسيا الوسطى باعتبار أن العنصر التركي و الأصول الآسيوية قد سيطر في وقت من الأوقات على مجمل الأراضي في آسيا الوسطى حتى البحر الأبيض المتوسط، و أقام دولة واسعة في هذه المناطق[2].

و قد شكل قيام الدولة الصفوية في إيران حاجزا سياسيا قطع الاتصال بين العثمانيين و بين أصولهم الشرقية على الرغم أن الشاه ظل يمثل آنذاك عالما تركيا آخر لكن باتجاهات مذهبية و اجتماعية مختلفة عن العالم التركي العثماني، أما من حيث الاعتبارات الفكرية من حيث الحكم و الإدارة و في الأدب و الفنون ،ظل السلاجقة و العثمانيون من بعدهم يعتمدون اعتمادا كبيرا على المهاجرين من المشرق للقيام بشغل الإدارة و حكومتها.[3]

[1] – محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، المرجع السابق ص149.

[2] نفسه، ص149.

[3] – نفسه، ص149.

شعور العثمانيين بانقطاعهم الفكري عن أصولهم الثقافية و ذلك بسبب انقطاع تركيا عن إيران و آسيا الصغرى اللتين أسهمتا في تطورها و نموها الثقافي بشكل كبير، فكان ذلك بمثابة دافع كبير لهم لإعادة فتح هذه القنوات الفكرية الشرقية.[1]

ويرى أصحاب نظرية النزاع البرتغالي العثماني بأن العثمانيين قد اتجهوا في فتوحاتهم نحو المشرق العربي من أجل حمايته من التهديدات الأوربية و خطرها البرتغالي، الذي حاول أن ينفذ من مضيق باب المندب إلى البحر الأحمر بالتحالف مع حكام الحبشة المسيحيين.[2]

ومن هنا نستنتج أن سياسة السلطان سليم الأول في الدولة العثمانية في التحول إلى المشرق العربي كانت أهدافها واضحة ،و ذلك من أجل القضاء على الدولة الصفوية الشيعية و ضم دولة المماليك تحت الحكم العثماني و حماية الأراضي المقدسة ،و ملاحقة الأساطيل البرتغالية ليعيد طرق التجارة كما كانت من قبل الحصار البرتغالي من أجل الحصول على الأموال الطائلة من المكوس المفروضة على البضائع، من هذا المنطلق يمكن تصنيفها إلى دينية أي الصراع الشيعي السني بعد ظهور دولة الشاه إسماعيل الصفوي و محاولة الشيعة في العراق وشرق الأناضول ، و أسباب سياسية أن السلطان المملوكي فتح كل من الشام و مصر إلى ملجأ لكل الثوار على السلطة العثمانية ،هذا ما أثر سلبا على طبيعة العلاقات بين الطرفين أما الأسباب الاقتصادية أن توسع الدولة العثمانية و زيادة امتدادها يزيد من مداخيلها الضريبية و الجمركية، بالإضافة إلى السيطرة على أهم محاور التجارة.

[1]- محمد سهيل طقوش ،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،المرجع السابق ، ص151.

[2]إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص28.

المبحث الثاني: أسباب ضم سليم الأول لبلاد الشام ومصر:

مما لاشك فيه أن ضم سليم للشام و مصر كان وراءه دوافع و أسباب عديدة ومبررات قوية دعت إلى الاستيلاء على هذه المنطقة الشاسعة من العالم العربي، هذا الضم الذي ضاعف أملاك الإمبراطورية العثمانية أكثر من مرة و نصف و امتزجت الدوافع والمسببات و تفاعلت في عقلية سليم، و أصبحت حافزا و مبررا له للقضاء على دولة المماليك الآخذة في الضعف و الانهيار و الأسباب التي دعت سليم لأخذ الشام و مصر بعضها كان من صنع المماليك و الآخر ناتج عن سياسة السلطان العثماني و تفكيره على أن المتتبع للسياسة العثمانية و السياسة المملوكية قبل عصر سليم يجد أن هذه الفترة مهدت للصدام و هيئت له. [1]

يخضع بعض دارسي التاريخ أسباب الفتح العثماني للشام و مصر لتصورات عصرية تبعد تماما عن حقيقة الواقع الكامنة وراء الفتح ،و لكن دراسة الوثائق و المصادر المعاصرة للفترة تكشف لنا عن الأسباب الواقعية للفتح وهي:

1-إيواء المماليك للأمراء العثمانيين الفارين:

في أوائل القرن السادس عشر كانت الدولة المملوكية تعاني من الضعف والإنهيار في المقابل كانت الدولة العثمانية أوج قوتها مما جعل المماليك يتخوفون منها فحاولوا إضعافها داخليا مستغلة الخلافات الحاصلة في الأسرة الحاكمة من خلال تحريض الأمراء الفارين إلى اللجوء إليهم و زيادة على ذلك عدم مساندة المماليك للعثمانيين في حربهم مع الصفويين[2] و عقب الانتصار العثماني على النشاط إسماعيل الصفوي، ظهرت جليا

[1]- أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي،المرجع السابق ،،ص194-195.

[2] -نفسه، ص 196.

مخاوف السلطان المملوكي قانصوه الغوري*[1] ،و أما بخصوص الأمراء فقد تخوفوا من سطوه و شدة بأسه فأخذوا حذرهم منه لما قد يحدث لهم منه فيما بعد.[2]

ونتيجة لهذا هرب الأمراء العثمانيون إلى المماليك أو الصفويين و لقد أحسن هؤلاء استقبالهم و خصصوا لهم منازل خاصة فقد وجد حكام المماليك في هذه السياسة أسلوبا فعالا في إضعاف الدولة العثمانية، و بعد أن حاول السلاطين العثمانيين جاهدين الحصول على أولئك الأمراء الفارين إلا أن المماليك رفضوا بل العكس أمدوا بعضهم السلاح و الجند لمحاربة السلطان الجالس على العرش آنذاك ،هذا ما زاد من غيض السلاطين العثمانيين على المماليك.

وفي هذه النقطة يمكن القول ان كل من المماليك والصفويين لم يحسنوا استغلال هذه الفرصة عن إيواءهم للأمراء الفارين لديهم بل زاد من حدة العداوة والصراع بينهم فقط وحدوث مناوشات على حدود بعضهم البعض.

2-الصراع على الإمارات المجاورة:

تصارع المماليك و العثمانيون على النفوذ في مناطق الأناضول الجنوبية والشرقية و المناطق الواقعة شمال الشام فكل منهما كان يسعى إلى تعيين أمير موال له في هذه المناطق، مما سبب توترا شديدا بينهما كانت تزداد حدته كلما ازداد تدخل أي من الطرفين

* قانصوه الغوري: الظاهري الأشرفي، الملك الأشرف ، أبو النصر، سيف الدين نسبة إلى طبقة الغور وإلى الظاهر خشقدم وإلى الأشرف قايتباي تولى السلطنة وهو دويدار بإجماع الخليفة المستمسك والقضاة الأربعة والأمراء أصحاب الحل والعقد، وكانت مدة الغوري خمسة عشرة سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما. ينظر إلى : علي بن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تح، تق: اشرف احمد الجمال، ط1، المكتبة التجارية، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص284.

[1] احمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، المرجع السابق ،ص196.

[2] محمد بن احمد ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م ن)، 1984م، ص 398.

في شؤون هذه الإمارات مهددة بالزوال في الفترة التي ازدادت فيها حدة الصراع بين هاتين القوتين، فهي إمارت صغيرة و ضعيفة و كان ضعفها سببا في عدم استقرار الحكم فيها ومشجعا لكل من الدولتين على التدخل في شؤونها كثيرا، يعتبرها المماليك حصونهم الشمالية و يعتبرها العثمانيون جشما غريبا داخلا في صميم أناضولهم.[1]

و يمكن تفسير هذا الصراع على هذه المناطق إلى تخوف العثمانيين من انتشار المذهب الشيعي في هذه المناطق التي ليست تحت سيطرتهم و تعتبر هذه المناطق بالنسبة إلى الصفويين بمثابة أرض خصبة لنشر مذهبهم الشيعي هناك و لو بالقوة، بالإضافة إلى أن المماليك في أواخر أيام سلطتهم لم يحكموا قبضتهم عليها بشكل جيد.

3-التحالف المملوكي الصفوي:

ويبدو أن المماليك قد أوجسوا خيفة من منافسة السلطان العثماني في السيطرة على الأماكن المقدسة في الحجاز (الحرمين الشريفين) والدفاع عن الإسلام ،لذا فان السلطان قاصوه الغوري يعمل على إقامة تحالف مع الشاه إسماعيل الصفوي ضد العثمانيين، وذلك حفاظا على مناطق نفوذه في الشام وآسيا الصغرى. [2]

أن بعثة عثمانية وصلت في شهر ربيع الآخر عام 920هـ/شهر أيار عام 1514م إلى القاهرة حاملة اقتراحا بالتحالف بين العثمانيين و المماليك لمحاربة الصفويين والقضاء على خطرهم بمنع المذهب الشيعي الانتشار في الأناضول، غير أن المماليك كان ردهم

[1]- احمد فؤاد متولي،الفتح العثماني للشام ومصر من واقع الوثائق والمصادر العربية المعاصرة له ، المرجع السابق ،ص197-198.

[2]إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص59.

سلبيا و رفضوا إقامة هذا التحالف و تمسكوا بسياستهم باتخاذ موقف الانتظار و الحياد ،فاعتبر العثمانيون هذا الرد و هذه السياسة بمثابة مظهر من مظاهر العداء[1]

واكتفى الغوري أثناء الصدام لواقع بين العثمانيين و الصفويين بإرسال قوة مراقبة إلى حلب لحماية الأراضي الواقعة تحت النفوذ المملوكي، لكن هذه القوات قامت بمنع الجيش العثماني من المسير عبر طرق الأراضي الواقعة تحت السيطرة و النفوذ المملوكي.[2]

استطاع سليم الأول أن يوقف الخطر الصفوي الذي هدد الاناضول و يبدأ يغير على الإمارات التابعة للمماليك و يستولي على بعضها واحدة تلو الأخرى ،و كان المبرر الوحيد لهذا التحالف الذي لم يدخل حيز التنفيذ هو أن السلطان المملوكي قانصوه الغوري أحس بالخطر من تحول موازين القوى إلى جانب العثمانيين بعد أن انتصر سليم العثماني على غريمه الشاه الصفوي و خشي أن يطمع السلطان العثماني سليم الأول و يضم اليه بعض الإمارات الخاضعة للدولة المملوكية، و التي تجاور الدولة العثمانية و اعتبر السلطان العثماني خروج السلطان المملوكي على رأس جيشه إلى حلب بمثابة إعلان للحرب على الدولة العثمانية تأييدا للدولة الصفوية الشيعية ،هذا ما أدى إلى تدهور العلاقات بين السلاطين العثماني و المملوكي ،و قد بدا ذلك واضحا عندما عاد سليم من تشالدران وهو ينوي الدخول في حرب مع الغوري ،لأنه كان يخشى وجود دولتين كبيرتين معاديتين له تشرفان على حدوده الجنوبية.

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام،المرجع السابق، ص496.

[2] نفسه، ص496.

4-الأسباب الاقتصادية:

بدأت الكشوف الجغرافية تظهر في أوروبا في أواخر القرن الخامس عشر فقد اكتشف فاسكودي غاما سنة 1498م، طريق رأس الرجاء الصالح ،و قد احدث هذا الكشف تحولا خطيرا في البحرية الأوربية أثر بطبيعة الحال على التجارة العالمية و غير مجراها.[1]

وبذلك استطاع البرتغاليون بكشوفاتهم الجغرافية أن يغيروا مجرى الطرق التجارية التي عبرت عبر الأراضي العربية ،و جعلوها تمر عبر طريق رأس الرجاء الصالح الذين اكتشفوه و بدءوا يطلقون مع البحار العربية كالبحر الأحمر و الخليج ،فتوقفت التجارة في البلاد العربية ،و نتج عن هذا تدهور في اقتصاديات المنطقة العربية.

حيث تمكن البرتغاليون من تطويق المنطقة العربية ،و منع التجارة بالمرور عبر مياهها و أراضيها فقد أراد سليم بفتحه للشام و مصر أن يؤمن التجارة العثمانية الآتية من الشرق عبر البلاد العربية ،و التي أصبح الخطر البرتغالي يعوق مسيرها و أن يحصل على الأموال الطائلة من المكوس المفروضة على البضائع.[2]

وقد نتج عن هذه الأسباب أن استولى سليم على مصر و الشام و الحجاز بعد انتصاره على جيوش المماليك (1517-1596) [3] و لهذه الأسباب توترت العلاقات العثمانية المملوكية ،فقد كانت قبل سلطنة الغوري علاقات طيبة طالما لم يقع تدخل من جانب احدهما في شؤون الإمارات الواقعة بينهما، و التي كان بعضهما تحت حماية

---

[1] احمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام و مصر و مقدماته من وقائع الوثائق و المصادر التركية و العربية المعاصرة له ،المرجع السابق ،ص90.

[2] احمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، المرجع السابق ،ص202.

[3] عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا،(د ط)، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة، 1967م، ص6.

المماليك و البعض الآخر تحت حماية العثمانيين و مع ما كان يحدث في بعض الأحيان من شقاق بينهما، كان مبعثه التنافس إلا أنه سرعان ما يعود الصفاء و الود بينهما مثلما حدث في عهد محمد الفاتح محمد و خشقدم و بايزيد الثاني و قايتباي ،و لكن الحال اختلف بظهور الشاه إسماعيل الصفوي الشيعي الذي تسبب في قضاء العثمانيين على دولة المماليك بنشوب الحرب بينهما و تجسد ذلك في مواجهتين الأولى كانت في مرج دابق عام 1516م و الثانية كانت في الريدانية عام 1517م و بذلك أصبحت مصر والشام تحت الحكم العثماني.

المبحث الثالث : مراحل التوسع العثماني في بلاد الشام ومصر(معركة مرج دابق والريدانية).

1 – ضم بلاد الشام (معركة مرج دابق 922هـ- 1516م•).

أ – أوضاع مماليك مصر و بلاد الشام قبل المعركة:

اعتقد السلطان المملوكي قانصوه الغوري ضم سليم الأول لإمارة ذي القدر بمثابة إعلان للحرب عليه فقرر مواجهته من أجل أن يستعيد هيبته ، لكن واجهته أزمة داخلية في أوساط المماليك عصفت بالجيش و السلطة ،و ذلك بسبب عدم اقتناع فئات المماليك و لا حتى الشعب بوجود مبرر للصراع و رفضوا الحرب ،أدى إلى عمد الناس على عرقلة تدابير السلطة للتعبئة العامة ،و عملوا على مساعدة العثمانيين و في القاهرة اقفلوا الخياطون و متعا الأسلحة مراكزهم الحرفية ،و انتشرت في الشوارع المصرية التهديدات والشتائم ضد السلطان المملوكي.[1]

• ينظر الى الملحق رقم: (02)

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ،ص497-798.

و بخصوص العلماء و الفقهاء فقد ذكر عبد الله رضوان في كتابه : تاريخ مصر...إن علماء مصر وهم في نفس الشعب المصري و ممثلوه يعتقون سرا بكل سفير عثماني يأتي إلى مصر يقصون عليه شكواهم، و يستنهضون عدالة السلطان العثماني من اجل ان يأتي و يأخذ مصر.[1]

و أما الأوضاع فقد كانت أكثر سوءا في بلاد الشام فهم لم يعرقلوا تدابير السلطة بشأن التعبئة العامة فقط ،بل اظهروا العداء للدولة و خرجت العديد من القوى عن طاعة المماليك بسبب هذا ضمن السلطان سليم الأول منطقة كبادوكيا، و قام أمراء السلطان المملوكي بإبلاغه أن هناك انتفاضة شعبية سوف تقوم في بلاد الشام و خاطبوه قائلين (أيها السلطان ارض حلب أفلتت من أيدينا وانتقلت إلى أيدي ابن عثمان فاسمه يذكر هناك في خطبة الجمعة و ينقش عن النقود.[2]

و من هنا نستنتج انه بسبب هذه السياسة التعسفية ضد السلطان المملوكي ورفضهم للحرب على العثمانيين تحولت أكثر مناطق حلب و غيرها من الأراضي إلى تأييد بن عثمان، بالإضافة إلى انتشار المشاعر المعادية وسط الشعب ثم انتقلت للجيش، و بالتالي قلت درجة الانضباط و أخذوا يطالبون بالمال و المكافآت ،فتمردوا على السلطة وعاشوا فسادا في الشوارع، و بدا كثير من الأمراء مثل: خايربك يتعاطفون ويميلون باتجاه ابن عثمان، حيث أقاموا معهم علاقات سرية ضد الدولة المملوكية و بهذا نسب السلطان سليم الأول أنصار كثيرون إلى جانبه من أجل أن يزودوه بالمعلومات عن أوضاع مصر و بلاد الشام ،و نتيجة لهذه الأوضاع تيقن السلطان المملوكي قانصوه الغوري بأنه غير جاهز لخوض حرب ضد العثمانيين و قام بتأخيرها.

[1] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، المرجع السابق، ص186.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص498.

ب – أحداث المعركة:

لم ينته السلطان محمد الأول من محاربة الشيعة و فتح ديار بكر الموصل حتى يأخذ يستعد لفتح سلطنة مصر، قانصوه الغوري كان قد تحالف مع الشاه إسماعيل لمحاربة الدولة العثمانية و لم علم السلطان مصر يتأهب السلطان العثماني لمحاربته. [1]

حيث قام الجيش العثماني بالتحرك نحول الأناضول في رجب عام 922هـ آب 1516م بقيادة السلطان سليم الأول و تعداده. [2] يفوق ستين ألف مقاتل[3] و ثلاثمائة مدفع و يمم شطر بلاد الشام و عندما علم السلطان قانصوه الغوري بالأخبار تحرك السلطان العثماني.[4]

خرج السلطان قانصوه الغوري من مصر في 15 رجب 922هـ/1516م على رأس جيشه ووصل إلى غزة و مكث فيها ثلاثة أيام، فتقدمت إلى بعض الأهالي بالشكوى من نائب غزة، فبعث إليه و عندما حضر عنفه على فعله.[5]

ثم وردت مكاتبة من نائب الشام سيباي يخبره فيها أنه علم السلطان الغوري يريد السفر إلى قتال ابن عثمان و أن المملوك يقوم بهذا الأمر و يكون السلطان مقيما بمصر و يبعث بالعسكر، بالإضافة إلى ذلك اخبره بأمر خطير مفاده أن خايربك خائن و له صلة بالسلطان العثماني و يطلعه على أسرار كل الدولة، محذرا إياه انه ليس مخلصا له إلا أن السلطان الغوري لم يستجب لتلك الأقوال و لم يقم بأي تحريات بخصوص ذلك من

[1] محمد الطاهر سحري، مختصر تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، ط1، مطبعة المعارف ، الجزائر،2008م، ص123.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام ،المرجع السابق، ص498.

[3] محمد بن احمد ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م ن)1984م، ص123.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص498.

[5] محمود السيد تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م، ص79.

أجل التأكد من صحتها من عدمها، و لكن الأحداث أثبتت صدق تلك الأخبار الخاصة عن خايربك و خيانته[1]، إلا أن السلطان الغوري لم يكترث لكلامه.[2]

أما المكيدة الثانية كانت من أجل خداع الغوري و صرفه عن القتال و أخذه إلى غزة فأثناء بروزه من القاهرة ،أرسل إليه يتوسط الخائن خايربك يعتذر فيها و يعده بأن يعيد له كل ما أخذه منه و يفتح طريق التجارة الرقيق و الصوف و الفراء،... و كان الغوري امراء عسكره ان ينخدعوا لولا حيطتهم و حذرهم بالخروج إلى الشام.[3]

و تبادل الرجلان الرسائل في مرج دابق* شمالي حلب حيث عسكر جيشاهما و بدا التفاوض و هذا ما كان يريد الغوري، على عكس سليم الأول الذي كان يود الدخول في المعركة بعد نجاحه في استدراج المماليك إلى ساحة القتال و أمن خطوط مواصلاته مع الأناضول عبر حلب المدينة الإستراتيجية إلا أن الغوري لم يفقد الأمل في التفاوض ،ذلك أن السياسة العثمانية نجحت في ترسيخ هذا الوهم في ذهن السلطان الغوري لإرباكه وبقاء المبادرة في يد سليم الأول في تحديد مكان و زمان المعركة ،و نتيجة لذلك استقبل السلطان الغوري عشية بدء الهجوم بعثة عثمانية أخرى اقترحت عليه استئناف التجارة بين البلدين.[4]

---

[1] ابن زنبل الرمال، اخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تر: عبد المنعم عامر، إش: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص81.

[2] نفسه ، ص82.

[3] عمر الاسكندري و سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، را: الكبتن. أ.ج. سفدج، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص5.

* مرج دابق: هي احدى قرى بلدة عزاز، قرب حب مرج دابق هو المرج الذي كان ينزله بنو مروان في غزواتهم وفيه دفن سليمان بن عبد الملك بن مروان سنة 98هـ. ينظر إلى : محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح : احسان حقي ، ط1، دار النفائس ، بيروت، 1981 م ،ص 192، محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط2 ، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص231.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص500.

فقد حاول السلطان العثماني كل ما في وسعه لتدبير المكائد للسلطان العثماني من أجل إبطال همته على الحرب، و جعل السلطان الغوري يتوهم و يفكر في الدخول للتفاوض بطريقة سلمية معه دون الدخول في حرب معه. فأرسل السلطان الغوري سفيرا آخر مع هدية السلطان العثماني كما أوعز إلى شيخ الإسلام الشافعي[1] كمال الدين الطويل بأن يخطب في الجامع الكبير الذي بحلب، فاجتمع بالجامع حشد كبير من أهل حلب فقام كمال الدين الطويل بإلقاء خطبة بلغية و أورد فيها أحاديث شريفة في الصلح، و أذن مؤذنو السلطان بالجامع و عملت الوعاظ بالجامع .[2]

استقبل السلطان سليم الأول سفراء السلطان الغوري أسوأ استقبال إذ قبض على مغلباي و كاد يشنقه لولا شفاعة بعض من وزرائه و رفض الصلح.[3]

وفي 20 رجب 922 اوت 1516م تحرك قانصوه الغوري هو و جيشه لملاقاة سليم الأول في اليوم التالي وقف المماليك الجراكسة و العثمانيون وجها لوجه في سهل مريج دابق ،حيث قام الغوري بنشر إشاعة وسط صفوف جيشه بان جيش العدو يضم في صفوفه المسيحيين و أرمن و شعوب أخرى و ذلك من أجل إثارة الكراهية ضد العثمانيين و التفكير بان الحرب بينه و بين سليم الأول هي حرب مقدسة يخوضها المسلمون ضد المسلمين ،و في مرج دابق فاجأته الجنود العثمانية، فصلى السلطان صلاة الصبح ثم توجه إلى زغزغين و تل الفار فركب هو بتخفيفة صغيرة و ملوطة و على كتفه طبر وسار يرتب العسكر بنفسه و أمير المؤمنين على الميمنة و يلبس مثل ملابس السلطان وعلى رأسه السنجق الخليفتي. [4]

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق ، ص500.

[2] ابن اياس ، ج5، المصدر السابق ،ص62.

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام، المرجع السابق، ص500.

[4] ابن زنبل الرمال، المصدر السابق ،ص22.

حيث مكنت خيانة خايربك العثمانيين من الانتصار بعد بداية المعركة بوقت قصير راقب السلطان المملوكي قنصوه الغوري يفزع جيشه ينهار من حوله كان غبار المعركة كثيفا لدرجة جعلت الجيشين لا يكاد احدهما يرى الآخر، لجأ قانصوه إلى مستشاريه الدينيين و حثهم على الدعاء لتحقيق النصر لم يعد يؤمن أن جنده يستطيعون تحقيقه و حين أدرك أحد قادة المماليك أن الموقف ميؤوس منه.[1]

ج – وفاة قانصوه الغوري:

فلما اضطربت الأحوال و زادت الأهوال فخاف الأمير تمر الزردكاش على السنجق فأنزله و طواه و أخفاه و قال له : يا مولانا السلطان إن عسكر ابن عثمان قد أدركنا فانج بنفسك و اهرب إلى حلب ، فلما تحقق السلطان ذلك نزل عليه في الحال خلط فالج بطل شقته و أرخى حنكه ،فطلب ماءا فأتوه بماء في طاسة ذهب فشرب منه قليلا و ألفت فرسه على أنه يهرب فمشى خطوتين، و انقلب من على الفرس في الأرض فأقام نحو درجة و خرجت روحه و مات من شدة قهره ،و قيل فقعت مرارته و طلع من فمه دم أحمر ،و قيل إنه لما رأى الكسرة عليه ابتلع فص ماس كان معه فلما نزل جوفه غاب عن الوجود، و سقط عن فرسه و مات من وقته.[2]

أما السلطان فمن حين مات لم يعلم له خبر و لا وقف له على أثر و لا ظهرت جثته بين القتلاء فكان الأرض قد انشقت و بلعته في الحال ، و في ذلك عبرة لمن اعتبر و زال ملك الأشرف الغوري على لمح البصر و كأنه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير.[3]

---

[1] يوجين روجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر ، تر: محمد إبراهيم الجندي ، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة ، 2017م،ص28.

[2] ابن اياس، ج5، المصدر السابق، ص70.

[3] نفسه، ص70-71.

و جاء في قوله تعالى" **واذا أراد الله بقوم سوءا فال مرد له و مالهم من دونه من وال** "[1]

و بعد هذه الموقعة احتل السلطان سليم بكل سهولة كل من مدينة حماه و حمص و دمشق، و عين عليها ولاة من طرفه و قابل من بها من العلماء و أحسن استقبالهم وفرق الإنعامات على المساجد ،و أمر بترميم الجامع الأموي بدمشق، و لما صلى السلطان الجمعة به أضاف الخطيب ،عندما دعا له هذه العبارة (خادم الحرمين الشريفين) و لازالت تستعمل في الحجاز حتى الآن ،هذا ماحدث خلال المعركة و ما بعدها مباشرة.[2]

و بفضل شخصية سليم الأول الطموحة إلى زعامة العالم الإسلامي قام مستغلا حالة الضعف التي كانت قد أصابت دولة المماليك في بلاد الشام، و رأى أنها أصبحت غير قادرة على صد هجمات البرتغاليين و الإسبان أو أي خطر خارجي الذي قد يحدث بهم، فقد تمكن السلطان سليم من جمع العديد من الأسباب التي تسهل عليه الدخول إلى بلاد الشام وضمها رغم محاولات السلطان الغوري إلى تهدئة الأمور و إصلاحها عندما أحس بعزم السلطان العثماني، إلا انه فشل في تحقيق ذلك بل حاول السلطان العثماني بمختلف الأساليب إلى إضعاف عزم الغوري، و تدبير المكائد ضده لعرقلة تجهيزاته.

وبعد تمكن سليم الأول من ضم بلاد الشام في واقعة مرج دابق عام 922هـ/1516م أخذ يستكمل فتوحاته فيها و يستولي على مدنه الواحدة تلو الأخرى ، في حين استسلمت معظمها دون قتال.

[1] سورة الرعد، الآية 12، ص250.

[2] محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص123.

2 – ضم مصر (معركة الريدانية 923هـ- 1517م•)

أ- قبل المعركة:

بعد نجاح سليم الأول في ضم بلاد الشام اخذ يفرض سيطرته عليها واجتمع المماليك العائدون إلى مصر، و اتفقوا على سلطان جديد يتولى القيادة و يقف أمام الغزو العثماني وفي العاشر من أكتوبر أجبر أكابر المماليك طومان باي* من أجل انتخابه سلطانا عليهم، رفض في بادئ الأمر نظرا للأوضاع التي كانت تعاني منها مصر، انقسامات خطيرة بين صفوف المماليك و الأزمة الاقتصادية، و في الأخير نصب طومان سلطانا باسم الأشرف أبي النصر طومان باي ،وفي المقابل لم يكن السلطان سليم الأول متشوقا في دخول الحرب، ذلك أنه تمكن من القضاء على التحالف المملوكي الصفوي و بضمه لسوريا وضع به حاجزا بين الدولة العثمانية و المماليك.[1]

بقي سليم الأول في دمشق حتى نهاية شهر كانون الأول 1516 م حيث عملية تسوية العلاقات مع المماليك إذ أن سليم الأول كان يعارض أن يسوي علاقاته مع المماليك و عقد اتفاق سلام معهم شرط الخضوع له و الطاعة للدولة العثمانية[2] و ذكر اسمه في الخطبة و عرض عليه أن تكون مصر له بدلا من الشام و يدفع له الضريبة

• ينظر الى الملحق رقم: (03)

*طومان باي:من بلاد الجركس الذين هم من أصل عربي،اشتراه الأمير قانصوه لقرابته و كان يطلق عليه طومان باي ابن قانصوه و لكن من المؤكد انه لم يكن ابنا له قيل انه ابن أخيه ولد عام 1473/878م و شنق في سن 44 عاما في يوم الأحد 21 من ربيع الأول في سنة 922هـ/15 سبتمبر سنة 1517 ينظر إلى: أسامة حسن، طومان باي آخر سلاطين المماليك ، ط1 ، دارالأمل للنشر و التوزيع، الحيزة، (د ت ن)، ص11.

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، (د ط) ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، (د ت ن) ، ص77.

[2] نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1988م ،ص85.

التي كانوا يدفعونها أيام الخلفاء العباسيين ،حيث وصلت بعثة عثمانية إلى القاهرة في 16 كانون الأول ديسمبر 1516 تعرض عليه هذه المطالب.[1]

و ذكر في مطالعته أشياء كثيرة في هذا النمط " وأني أخذت المملكة بالسيف بحكم الوفاة عن السلطان الغوري فاحمل لي خراج مصر في كل سنة كما كان يحمل خلفاء بغداد و احتفل حتى قال : أنا خليفة الله في الأرض و أنا أولى منك بخدمة الحرمين الشريفين ،ثم ذكر في أثناء المطالعة : و إن أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا و كذلك الخطبة و تكون نائبا عنا بمصر ،و ذلك من غزة إلى مصر ومن الشام إلى الفرات.[2]

إلا أن المماليك لم يتقبلوا الهزيمة و الانحناء و تقديم الولاء إلى العثمانيين واعتبروا ذلك سيكون بصمة عار عليهم وفي 11 أكتوبر 1516م ،تم انتخاب طومان باي سلطانا عليهم يوم الأحد 922هـ/1516م هو ابن شقيقة قانصوه الغوري و كان في الثامنة والثلاثين من عمره تميز بأفضل صفات الفارس المملوكي ،و كان همه الوحيد الثأر من هزيمة مرج دابق و النصر على العثمانيين ، فكان رفضه لاقتراح سليم الأول بعقد اتفاق السلام أمرا طبيعيا.[3]

و كان طومان شجاعا ذكيا و كان جاهدا في السلطة،فقد كان المماليك منقسمين على أنفسم و خزانة الدولة خاوية ،و كان طومان باي يدرك ان غلول الجيش المماليك المنهزم لاتقوى على مواجهة العثمانيين، و تحت هذه الظروف السيئة قبل طومان باي

[1] نيقولاي ايفانوف، المرجع السابق،ص85.

[2] ابن اياس ، ج5، المصدر السابق ،ص125

[3] ابن زنبل الرمال، المصدر السابق، ص15.

السلطة و من أجل تعزيز قوة الدفاع عن البلد اشترى من البندقية بعض الأسلحة و أقام خطا للدفاع عند الصالحية.[1]

و اضطر طومان باي إلى تجنيد العربان المصريين و المجرمين و القتلة بعد أن أعفى عنهم ،و انضموا إلى الجيش المملوكي بعد أن رفض المماليك الوقوف ضد العثمانيين ،و هذا الأمر شكل ضعفا و أفقد الجيش النظام و التماسك وفي هذا الوقت زحف الجيش العثماني إلى مصر وهو في حالة معنوية مرتفعة و أرسل إلى السلطان طومان باي رسالة يعيره فيها بأصله المملوكي قائلا: انك مملوك تباع و تشترى و لا تصح لك ولاية ملك."[2]

و إن لم تدخل تحت طاعتنا و إلا أدخل مصر و أقتل جميع من بهامن الأتراك ،حتى أشق بطون الحوامل و أقتل الجنين الذي في بطنها من الاتراك، ...فلما أشيع بين الناس بما في مطالعة ابن عثمان في هذي الدعاوي العريضة مما تقدم ذكره اضطربت أحوال الديار المصرية و أخذ كل أحد حذره و قالوا:إن مثلما طرقتنا قصاده على حين غفلة كذلك يطرقنا هو أيضا على حين غفلة.[3]

وأ رسل السلطان سليم الأول في 15 شوال رسالة إلى طومان باي يطلب منه أن يأتي إليه و يقدم الطاعة و الولاء له و لمن معهن، و بالإضافة إلى ذلك ذكر في نهاية الرسالة أنه قد بعث إلى جان بردي الغزالي، في غزة بنفس الغرض و انتهى ذلك بمواجهة بين القائد العثماني سان باشا و القائد المملوكي جان بردي الغزالي في جلجولية القرب

[1] عبد الله الرزاق إبراهيم ، شوقي الجمل، تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1997م، ص22.

[2] محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص219.

[3] ابن اياس ، ج5 المصدر السابق ، ص125.

من غرب في 26 ديسمبر 2 ذي الحجة و دارت بينهما معركة ،انتهت بهزيمة الجيش المملوكي و استيلاء العثمانيين على غزة.[1]

ب- التحضير لمعركة الريدانية:

و نتيجة لهذا الوضع فضل طومان باي سحب قواته إلى القاهرة بالقرب من الريدانية *الناحية الشمالية للعاصمة المماليك ،حيث قاموا بحفر الخنادق و أقاموا الأسوار و زرعت الخنادق و الحواجز المضادة للخيول و شكلت العربات سدا من أجل حماية المدفعية ، كما رفعت أمامها سواتر ترابية لحمايتها ، فقد فعل المماليك في الريدانية ما فعله العثمانيون في معركة مرج دابق ،و لكن كانت نقطة ضعف الجيش المملوكي في القيادة العسكرية حيث كان ينقلهم القادة و الجنود المحنكون و المدربون، و قد بلغ مجموع المجندين قرابة أربعين ألفا بمن فيهم عشرون الف فارس من المماليك و البدو[2].

و يقول ابن اياس عندا وصلت طلائع عسكر ابن عثمان عند بركة الحاج* بضواحي القاهرة فاضطربت أحوال الجيش المملوكي و عسكر ابن عثمان وواصل أوائله على الجبل الأحمر[3] و عندما بلغ السلطان طومان باي ذلك زعق النفير و أخذ طومان باي يرتب الأمراء على قدر منازلهم و نادى بالعسكر للخروج إلى القتال و اقبل جند ابن

---

[1] احمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشاتها حتى نهاية العصر الذهبي، المرجع السابق، ص222.

*الريدانية : قرية واقعة على الطريق بين بركة و الحاج و القاهرة، ينظر إلى : نجاة سليم محمود محاسيس، المرجع السابق، ص 262.

[2] نيقولاي ايفانوف ، المرجع السابق ،ص86-87.

*بركة الحاج: لها خواص عديدة منها ان لوملأ الحاج زمزمية او قرب منها أو احضرها معه وهو متجه إلى الحج ، ولو احتفظ بهذا الماء لمدة سنة فان طعمه و مذاقه لا يتغير ، ينظر إلى :أوليا جلبي، الرحلة إلى مصر و السودان و بلاد الجيش (1082-1091هـ/1672-1680م) كنوز مصرو آثارها و عمائرها و احتفالاتها ، ج2،تر: الصفصافي احمد القطورى، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص250.

[3] ابن اياس ،ج5، المصدر السابق ،ص145.

عثمان كالجراد ، فتلاقى الجيشان أوائل الريدانية فكان بين الجيشين معركة مهولة و قتل من العثمانيين ما لا يعد و لا يحصى و منهم سنان باشا لالاء ابن عثمان.[1]

وبعد مرور ثمانية أيام أي في يوم 31 كانون الثاني سنة 1517م تمكن العثمانيون من دخول القاهرة بعد مقاومة قرية مع جيش المماليك الذين رفضوا الاستسلام و قاتلوا العثمانيين في الشوارع ،و من خلال المنازل فقد قتلوا منهم عدد كثير من أهل المدينة حوالي خسمين ألف نسمة.[2]

وعندما دخل العثمانيون إلى القاهرة ،و قد كان معهم الخليفة العباسي أمير المؤمنين المتوكل على الله و جماعة القضاة وأعلن السلطان لناس الأمان و الاطمئنان والبيع و الشراء و أنه قد أغلق باب الظلم و فتح باب العدل و خطب على المنابر في مصر و القاهرة، و اعتقد السلطان سليم انه انتهى من الأمر و ضم مصر و القاهرة إليه [3] انتقل السلطان إلى بولاق بعد أن قام من تصفيتها من المماليك الذين يقطنون هذه المدينة، و ما حدت أن في يوم 28 يناير 1517 م 5 محرم تمكن طومان باي من دخول القاهرة مرة ثانية والسيطرة عليها و كان معه حوالي عشرة آلاف مملوك ، المعركة ثلاثة أيام كاملة مع القوات العثمانية في شوارع القاهرة .[4]

إلا أن هذه المحاولة إلى الصلح فشلت بسبب قتل هذا الوفد وهو في طريقه إلى طومان باي بدون حراسة ،و لما علم السلطان سليم الأول بهذا اعتقد أن طومان باي قام بخداعه.

---

[1] ابن اياس ،ج5، المصدر السابق ،ص145.

[2] محمد الطاهر سحري، المرجع السابق، ص124.

[3] زياد حمد الصميدعي، جمال الدين فالح الكيلاني،تاريخ الدولة العثمانية ، رجال و حوادث، ط1، المنظمة المغربية للترجمة و الثقافة و العلوم ، المغرب، 2013م،ص 63-64.

[4] محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية (النشأة و الازدهار) وفق المصادر العثمانية المعاصرة و المصادر التركية الحديثة، ط1، مكتبة اللأداب ، القاهرة، 2007م، ص246.

و نتيجة لفشل محاولة الصلح اضطر طومان باي إلى الانسحاب إلى منطقة وردان بالجيزة ،حيث دارت معركة قصيرة و سريعة انتهت بانتصار العثمانيين بعدما قدم طومان باي كلما في وسعه و فر هاربا. [1]

حيث كان في بادئ الأمر الفوز من نصيب طومان باي ورجاله، إلا أن تكاثر العثمانيين و رميهم بالرصاص كسر المماليك و بالخصوص من وقعوا بأيدي سليم الأول إذ يقول ابن اياس أن العثمانيين قاموا بقطع رؤوسهم و احضروا مراكب و نصبوها فيها مادري في الخشب و علقوا الرؤوس عليها ،و حملت النواتية على أكتافهم و لاقتهم الطبول و الزمور و زينوا القاهرة لذلك. [2]

ج – مقتل طومان باي:و كان أمام طومن باي في هذه الحالة مجرد الهرب و الاختباء عند احد المشايخ العربان بالبحيرة[3]و هنا لعبت الخيانة دورا آخر، فقد تعرض طومان باي أيضا للخيانة منهم بعد أن اقسموا على أن لا يخونوه ،و لكن بسبب إرداكهم بخطورة سليم الأول، قاموا بإخبار سليم الأول بمكان طومان باي ، فلم يهدأ للسلطان بال مادام طومان مازال هاربا و ليس في قبضته خوفا من إمكانية عودته إلى الحكم حتى تمكن من القبض عليه.

و في أمر قرار قتل طومان باي أو تركه أعجب السلطان سليم بطومان باي ومنطقه و حكمه و قرر إبقائه بجانبه ،لكن الخائن خايربك بالإضافة إلى جان بردي الغزالي عارضا السلطان سليم إلى قتله بحجة أنه إذا بقي حيا سيبقى حكم العثمانيين مليئا بالمخاطر، فاقتنع بكلامهما و قرر قتله.

---

[1] عطية القوصى، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني (20-922هـ/641-1517م)، (د ط)، دار الثقافة العربية ، القاهرة، (د ت ن) ،ص 235.

[2] جرجي زيدان،مصر العثمانية ، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة 2018م، ص50.

[3] ايناس حسني البهجي, دولة المماليك البداية و النهاية، دار التعليم الجامعي ، الإسكندرية، 2015م، ص313.

و لكن قامت شائعات في مصر مفادها أن طومان باي فر من السجن و قام بتنظيم جيشه الجديد ليقاتل به العثمانيين الغزاة ،و كان على لسان جميع الأهالي شجاعة و بسالة طومان باي ،و صلت هذه الشائعات إلى مسامع السلطان سليم الأول.[1]

فقام السلطان سليم الأول بإجبار طومان باي بالمشي في القاهرة من أجل أن يبرهن للأهالي أن تلك الإشاعات خاطئة ،و انتهى موكب طومان باي عند باب زويلة أحد الأبواب الرئيسية في مدينة القاهرة المحاطة بالأسوار، و هناك تم شنقه أمام الجميع إلا أن الحبل الذي كان يشنق به ينقطع مرتين و كأنه يعكس عزوف السماء عن السماح بقتل السلطان.[2]

وبموته انقرضت دولة الجراكسة سنة 923هـ/1517م و صارت مصر ولاية عثمانية و تنازل الخليفة العباسي بمصر عن الخلافة لسلاطين آل عثمان .[3]

وهكذا تمكن العثمانيون من السيطرة على زمام الأمور في مصر بعد أن أفشلوا مقاومة المماليك و جميع القلاقل و الاضطرابات الداخلية هناك ،رغم أنها لم تهدا بشكل تام إلا على أيام السلطان سليمان القانوني.*[4]

فقال الشيخ بدر الدين الزيتوني في هذه الواقعة :

---

[1] سيار الجميل،تكوين العرب الحديث ، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن، 1997م،ص92.

[2] يوجين روجان، المرجع السابق، ص31.

[3] أسامة حسن ،المرجع السابق، ص50-51.

* سليمان القانوني: رجل دولة عثماني، الابن الوحيد للسلطان سليم الاول وخليفته الذي امتدت ولايته من 1520 ميلادي حتى 1566 ميلادي، بدأ عهده بحملات واسعة حيث قام بفتح بلغراد عام 1521، ورودس في العام التالي، وحاصر فيينا عام 1529م، ونجح في احتلال العراق وطرابلس الغرب وصد بنجاح هجوم اسبانيا على ساحل شمال افريقيا 1560م، حيث تميزت السنوات الاخيرة من حكمه بالصراعات بين ابنائه. ينظر إلى :عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية ، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د م ن)، (د ت ن)، ص 234.

[4] اكمل الدين احسان اوغلي، المرجع السابق ،ص33.

نبكي على مصر وسكانها قد خربت أركانها العابرة

و أصبحت بالذل مقهورة من بعد ماكانت هي القاهرة [1]

و بهذه النهاية المحزنة انتهت دولة المماليك الجركسية لمصر،وأصبحت بذلك خاضعة للحكم و السيطرة العثمانية بعد نجاح عمليات الضم و استطاع سليم الأول تحقيق هدف من أهم أهدافه التوسعية وهو تحطيم قوة المماليك ،بعد أن قضى على الصفويين و لما خضعت مصر للعثمانيين عام 1517م، فإن حكمهم لم يكن إلا امتدادا لحكم و أنظمة المماليك مع بعض التعديلات التي أضافوا عليها الطابع التركي ،هكذا غدت الدولة العثمانية القوة الوحيدة الكبرى في العالم الإسلامي و تولد شعور لدى العثمانيين أن من واجبهم الحفاظ على مفهوم الجهاد و على حرمة الحرمين الشريفين، ومن خلال هاتين المعركيتن تبين ميل الدولة العثمانية إلى الهيمنة و الاستحواذ على العالم الإسلامي، و الرغبة في تزعمه بدلا من الإتحاد مع المماليك في صد الخطر الخارجي الصليبي الذي سيهددها تحت راية الإسلام.

[1] ابن زنبل الرمال ، المصدر السابق ،ص27.

المبحث الرابع: النتائج المترتبة عن الضم العثماني لبلاد الشام ومصر:

أ –**بالنسبة إلى العثمانيين** : ومن أهم النتائج الضم العثماني لدولة المماليك في مصر أن تحولت الدولة العثمانية إلى دولة كبرى امتدت إلى جبال طوروس شمالا و أسوان جنوبا ومن حدود إقليم برقة غربا إلى الفرات شرقا و يخضع لسيادتها أقاليم برقة و الحجاز واليمن و توبة و قبرص إلى مجرد ولايات لا تختلف عن غيرها من ولايات الدولة العثمانية ، و أصبحت مجرد وحدة من وحدات التقسيم الادراي للإمبراطورية العثمانية. [1]

وبذلك أصبحت مصر ولاية تابعة للدولة العثمانية ،بعدما كان سلطانها يمتد في البحرين الأحمر و الأبيض طوال عدة قرون.[2]

فقد كانت مصر جغرافيا و حضاريا أحد أهم مراكز الهامة في العالم ، و حين قام السلطان سليم الأول بضمها إلى الدولة العثمانية فقدت هيبتها و شخصيتها المنتقلة بعدما تحتل الصدارة في المكانة المرموقة في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى أن القاهرة كانت مقر خليفة المسلمين ،و من هذا الواقع المرموق صارت بعد ضمها ولاية عثمانية ،وأصبح سلطانها ورئيسها مجرد والي يعين من طرف الإستانة و أصبح مثلها مثل أي ولاية أخرى قسمت إلى سناجق أو مديريات على رأس كل منها متصرف .

2- انتقال الزعامة الدينية و السياسية في العالم الإسلامي إلى الدولة العثمانية ما كانت الخلافة في القاهرة أصبحت في القسطنطينية ،و قد تمكن العثمانيون من تحقيق ذلك بقوة

[1] محمد عبد المنعم سيد الراق، الغزو العثماني على مصر و نتائجه على العالم العربي ،(د ط)، مؤسسة شباب الجامعة لطباعة و النشر،(د م ن) ،(د ت ن)، ص 207.

[2] احمد عوف، أحوال مصر من عصر لعصر ،(د ط) ، العربي للنشر و التوزيع ،القاهرة ، (د ت ن) ، ص90.

السلاح و المدافع، و بذلك دخلت مصر التاريخ الحديث في دور جديد من أدوار حكمها يختلف تماما عن الأدوار التي مرت بها في المرة السابقة.[1]

3- استلام العثمانيون مفاتيح الكعبة من شريف مكة التي سلمها إليه إلى السلطان العثماني سليم الأول طوعا، و بذلك سما فيما بعد بخادم الحرمين الشريفين و أصبحت تخطب له المساجد في القاهرة على أنه : السلطان ابن السلطان " ملك البرين و البحرين و كاسر الجيشين و سلطان العراقين و خادم الحرمين الشريفين و بذلك نجح على السيطرة على البقاع الإسلامية. [2]

4-تصدي الدولة العثمانية للأخطار البرتغالية في البحر الأحمر و المحيط الهندي والأخطار الاسبانية في السواحل الشمالية لإفريقيا ،بعد أن أحبطت مخططات الدولة الصفوية الشيعية لإعادة السطو على العالم الإسلامي، و بذلك أمكن تأمين الحدود الشرقية و جميع العالم الإسلامي[3].

5- أصبحت الدولة العثمانية تسيطر على طريق التجارة القديم الذي بمصر عبر البحر الأحمر و المتوسط إلى أوروبا ،و من ثم قامت بتجديد المعاهدات التجارية مع البندقية للسماح بالتجارة في الأراضي، التي كانت تخضع للمماليك و تضع الخطط الأمنية للتصدي على الاعتداءات البرتغال في الجنوب، لتنشيط حركة التجارة في الطريق القديم من جديد. [4]

[1] عطية القوصي، المرجع السابق، ص 236.

[2] جلال يحيى ، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، (د ط) ، دار المعارف بمصر، 1965م، ص35.

[3] سيد محمد السيد محمود ، تاريخ الدولة العثمانية النشأة و الازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة و الدراسات التركية الحديثة، المرجع السابق، ص247.

[4] نفسه، ص 247.

وبذلك نستنتج أن الدولة العثمانية بضمها للعالم العربي ،استغلت ثقافته العربية الإسلامية فقد جعلت اللغة العربية الأساس في كتاباتها واتخذت العلوم الشرعية الإسلامية من أسس الدولة و سارت عليه فقد أضحت الدولة العثمانية إمبراطورية واسعة الأرجاء تمتد في القارات الثلاث، و من النقاط السلبية لهذا الضم على الدولة العثمانية أنه وأجد لها أعداد كثيرون و أصبحت محل أطماع الدولة الأوروبية مثل :النمسا، اسبانيا، البرتغال ، ...الخ

ب – بالنسبة إلى البلاد العربية :

1-نقل مركز حكم العالم العربي إلى عاصمة غير عربية أول مرة منذ ظهور الإسلام إذ تعتبر الدولة الأموية أول أسرة حاكمة في الإسلام ،إضافة إلى ذلك حكم الخلفاء العباسيون أعظم إمبراطورية إسلامية في عصرهم كانت عاصمة لأربع أسر حاكمة قبل مجئ المماليك في عام 751هـ/1250م.[1]

2- قامت الدولة العثمانية بتنفيذ سياستها التوسعية في البلاد العربية في اتجاهين ، كان الاتجاه الأول الأسيوي فقد اخضعوا و سلموا نفوذهم و سيطرتهم على البحر الأحمر والسواحل العربية المطلة على المحيط الهندي، بالإضافة إلى ضم العراق و أراضيه إلى أملاكها ، أما الاتجاه الأول فقد كان شمال إفريقيا فقد ضموا برقة و طرابلس وتونس و الجزائر، حيث بسطوا نفوذهم على الساحل الشمالي لإفريقيا إلا مراكش وأغلقوا جنوب البحر المتوسط و تمكنوا من التصدي للأساطيل الأوروبية.[2]

[1] يوجين روجان، المرجع السابق ، ص31-32.

[2] محمد عبد المنعم السيد الراق، المرجع السابق ، ص228.

وقوع الحجاز بأيدي العثمانيين دون قتال ... و أصبح إقليم الحجاز منذ ذلك الوقت حلقة اتصال إستراتجية بين العثمانيين و اليمن [1]

3- وحد العثمانيون البلاد العربية بعد أن كانت ولايات متفرقة و حما الوطن العربي من الحملات الصليبية و الاستعمار حوالي أربعة قرون .

4- حافظ العثمانيون على المذهب السني في البلاد العربية.

5- أنقذ الحكم العثماني على العراق من الصفويين و حافظوا عليه عربيا و سنيا .[2]

6-انتقال مركز الثقل الاقتصادي و الثقافي و السياسي إلى خارج البلاد العربية إلى تركيا مما أدى إلى تخلف البلاد العربية ،و فقدان كثير من النواحي العلمية والثقافية [3]

وفي الأخير نستنتج أن ضم العثماني للأقطار العربية (بلاد الشام و مصر) أعطى للدولة العثمانية مظهرا سياسيا و حضاريا و دوليا كبيرا ، وأثمر نتائج إيجابية و سلبية سواء على الجانب العثماني أو على جانب البلاد العربية أي أن نتائج الضم بالنسبة للعثمانيين تختلف تماما بالنسبة إلى البلاد العربية ،و لعلها أن الدولة العثمانية اكتسبت صبغة عربية و أصبح العرب يكونون نسبة كبيرة من سكانها إضافة إلى تدعيم مركز الدولة العثمانية كدولة إسلامية خاصة بعد ضم الأماكن الإسلامية المقدسة .

[1] سيار الجميل، المرجع السابق، ص92.

[2] جميل بيضون ، تاريخ العرب الحديث، ط1 ، دار الأمل، الأردن، 1992م، ص52.

[3] نفسه، ص 53.

خاتمة

خاتمة:

و بناءا على ما تم عرضه في المذكرة توصلت إلى مجموعة من الاستنتاجات :

1-من خلال دراسة واقع الدولة العثمانية و المملوكية، اتضح لي أن كل من الدولتين تتشابهان في العديد من الوجوه، فكلتاهما دولة عسكرية كانت تحت راية الإسلام السني و لم تنشأ بينهما أي خلافات سواءا كانت سياسية او عقائدية و لا تنافس تجاري ولا قاتصادي في بادئ الامر، بل كان سعيا إلى التنافس على الحدود والزعامة على العالم الإسلامي.

2-ان وجود المصالح المشتركة بين الدولتين كان السبب الأساسي في توطيد العلاقة بينهما، و تكثيف تعاونهما خاصة في مواجهة الخطر المغولي في الشمال والخطر البرتغالي في الجنوب ،حيث كانوا العدو المشترك بينهما.

3-ان تصادم المصالح دفع إلى فقدان الثقة لاحقا بين الدولتين و كان وراءذلك اتهام كل طرف الطرف الآخر بخيانة الجهاد ضد اوربا، فاتهم العثمانيون المماليك بخيانة العالم الإسلامي ، كما اتهم المماليك السلطان سليم الأول بالارتداء عن الدين و حاول كل طرف كسب أعوان له من رجال كبار الطرف الآخر، فتحولت إسطنبول و القاهرة إلى ملجأ سياسي لكل زعيم من غضب سلطانه.

4-كان التنافس على زعامة العالم الإسلامي احدى الأسباب الرئيسية لتوتر العلاقات بين الدولتين،إضافةإلى بروز الطرف الثالث المتمثل في الدولة الصفوية فكانت النتائج ذلك اصطدام العثمانيين بالصفويين و تحجيم قوتهم، ثم التفوا نحو المشرق العربي ليصطدموا بالمماليك، فقد تغيرت مجرى العلاقات مع المماليك عند وصول السلطان سليم الأول إلى الحكم.

5-استطاع السلطان سليم الأول ان يثبت للعالم الإسلامي ان عليه حماية الأماكن المقدسة، و انه المنقذ له من الخطرين الصفوي و البرتغالي و ليبرز زعيما إسلاميا و يحقق أحلامه في امبراطورية شرقية و غربية واسعة، و بذلك استطاع ان يبسط السلطان سليم الأول سيطرته على الحوض الشرقي للبحر المتوسط كجزء من سياسة الدولة العثمانية التي رسمها محمد الفاتح ثم بايزيد الثاني، و تبناها سليم الأول ثم حقق طموحه الخاص فبسط سيطرته على بلاد الشام في معركة مرج دابق في بلاد الشام سنة 1516م و مصر في معركة الريدانية سنة 1517م.

6-بعد سقوط الدولة المملوكية على يد السلطان سليم الأول بدأت الدولة العثمانية كقوة إسلامية تقلتفروض الطاعة و الولاء من الدول و الأقاليم، و أصبح السلطان سليم الحامي الفعلي لمكة و المدينة المنورة و خادم الحرمين الشريفين، و بالتالي انتقل من مركز الخلافة إلى مدينة إسطنبول.

الملاحق

الملحق رقم 01: يمثل: المماليك والعثمانيون في عهد محمد الثاني.

الملحق رقم 02: يمثل: خريطة لمعركة مرج دابق (922هـ-1516م).

الملحق رقم 03: يمثل: خريطة لمعركة الريدانية (923هـ-1517م).

الملحق رقم: (01)

[1]

المماليك والعثمانيون في عهد محمد الفاتح

[1] المغلوب سامي بن عبد الله، أطلس تاريخ الدولة العثمانية ، ط1، مكتبة الايمام الذهبي، الكويت، 2014م، ص 251.

الملحق رقم (02):

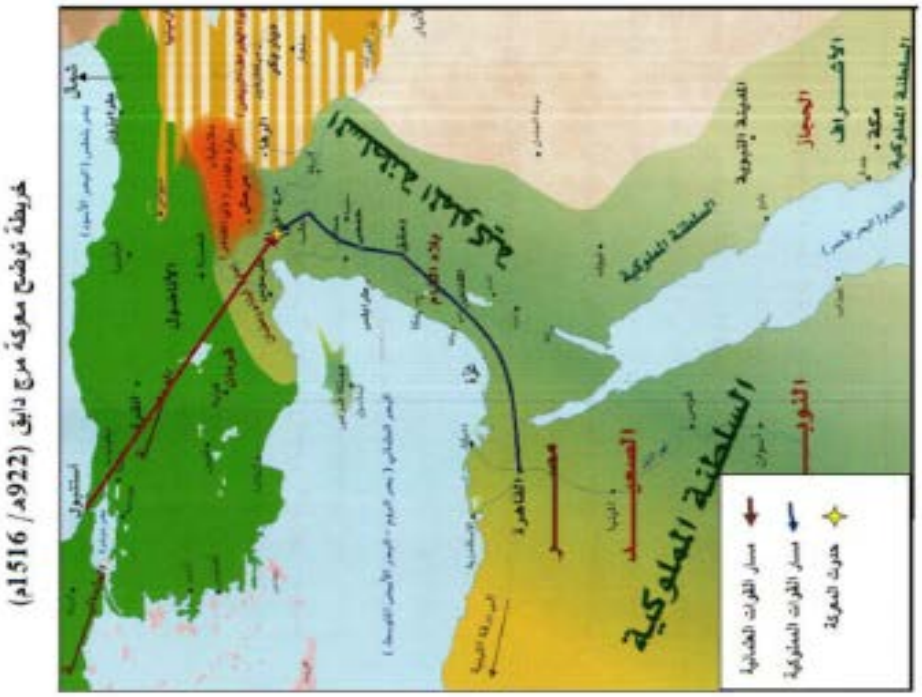

[1]

خريطة توضح معركة مرج دابق (922هـ-1516م)

[1] المغلوب سامي بن عبد الله، المرجع السابق، ص 319.

الملحق رقم (03):

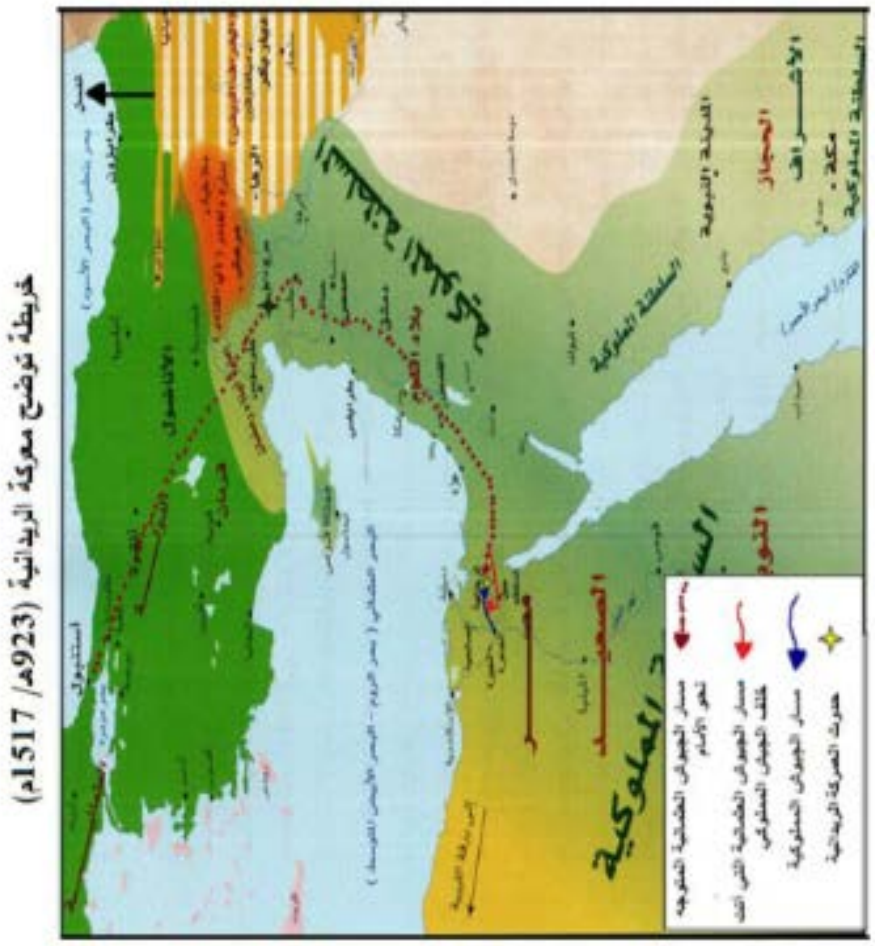

1

خريطة توضح معركة الريدانية (923هـ-1517م)

1

[1] المغلوب سامي بن عبد الله، المرجع السابق، ص 319.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم:

- **سورة الرعد: الآية 12.**

2-المصادر :

1. ابن اياس احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تح محمد مصطفى ، ج5 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د م ن) 1984م
2. ابن اياس محمد احمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تح : محمد مصطفى ،ج3 ، الهيئة المصرية العامة للكتابة (د م ن) 1984م.
3. ابن اياس محمد بن احمد ، بدائع الزهو في وقائع الدهور، تح ، محمد مصطفى ،ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م ن) 1984م.
4. ابن اياس محمد بن احمد ، بدائع الزهو في وقائع الدهور ، تح ، محمد مصطفى ،ج4 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د م ن) 1984م.
5. ابن تغري بردي الاتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة ، تق : محمد حسين شمس الدين ج16، ط1، دارالكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1992م.
6. جلبي أوليا ، الرحلة إلى مصر و السودان و بلاد الحبش (1081-1672/1091-1680) كنوز مصر و مآثرها و عمائرها و احتفالاتها ، ج2، تر ، تر: الصفصافي أحمد القطوري، ط1 ، المركز القوي للترجمة ، القاهرة ، 2010م.
7. الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح ، إحسان عباس ، ط2، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م.

8. الرمال بن زنبل آخرة المماليك او واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، تر : عبد المنعم عامر ، اش : عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م.

9. الطبري على بن عبد القادر الارج المسكي في التاريخ المكي و تراجم الملوك و الخلفاء تح و تق اشراف: أحمد الجمال ، ط1 ، المكتبة التجارية ، المملكة العربية السعودية ، 1984م.

10. المحامي فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تح ، إحسان حنفي ، ط1 ، دار النفائس بيروت، 1981م.

3-المراجع:

أ – المراجع بالعربية:

1-قاسم قاسم عبده، عصر سلاطين المماليك ، دار الشروق ، القاهرة 1994

2-العريني السيد الباز، ، المماليك ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت، (د ت ن)

3-طقوش محمد سهيل التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط5، دار النفائس، بيروت ، لبنان ، 2011م.

4-طقوش محمد سهيل،تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام،(674-1517-1250/923 ط1، دار النفائس للبطاعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2008م.

5-الصلابي علي محمد، صلاح الدين الأيوبي و جهوده في القضاء على الدولة الفاطمية و تحرير بيت المقدس، ط1، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان ، 2008م.

6-حسين حمدي عبد المنعم محمد، دراسات في تاريخ الايوبيين و المماليك ، (د ط) دار المعرفة الجامعية ، (د م) ،2000م.

7-منصور عبدج الحكيم ، السلطان سيف الدين قطز بطل عين جالوت و قاهر المغول ، (د ط) ،دار الكتاب العربي ، دمشق، القاهرة ،(د ت ن).

8-جبران نعمان محمود ، دراسات في تاريخ الايوبيين و المماليك ، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات و الدراسات ،عمان ،2011م.

9-العبادي احمد مختار ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، (د ط) ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت،(د ت ن).

10- شاكر محمود التاريخ الإسلامي ، العهد المملوكي ، (696-923هـ) ط4، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1991م.

11- عبد السيد حكيم امين ، قيام دولة المماليك الثانية ، (د ط) الدار القومية للبطاعة والنشر ، القاهرة ، 1966م.

12- بقاعي ايمان ، الوطن في ادب الشراكسة (الاديغة) العربي و المعرب (د د ن)، بيروت ،2014م.

13- قاسم قاسم عبده، علي علي السيد ، الايوبيون و المماليك ، التاريخ السياسية و العسكري، (د ط) ،عين الدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، الجيزة ، (د ت ن).

14- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، (471-511هـ/1078-117م) ط3، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ،2009م.

15- جبارة تيسير ، تاريخ الدولة العثمانية (1280-1924م)، ط1، عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة ، رام الله ،2015م.

16- حسون علي، تاريخ الدولة العثمانية و علاقتها الخارجية ، ط3، المكتب الإسلامي ، بيروت ،1992م.

17- طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ط3، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ،2013م.

18- العريني السيد الباز، المغول ،(د ط)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، 1981م.

19- الطاهر عبد الباري محمد ، دولة الخلافة العثمانية قراءة في نشأتها و مظاهر حضارتها و عوامل سقوطها، (د ط) ،زرقاء اليمامة للنشر و التوزيع، الفيوم، (د ت ن).

20- أبو زيدون وديع ، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التاسيس إلى السقوط، ط1، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، 2003م.

21- حرب محمد ، العثمانيون في التاريخ و الحضارة ، (د ط)، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي ، القاهرة ، 1994م.

22- حسون علي، العثمانيون و البلقان ، ط2، المكتب الإسلامي ، بيروت 1986م.

23- آصاف عزتلو يوسف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2014م.

24- منصور عبد الحكيم ، تيمورلنك امبراطور على صهوة جواد ،(د ط) ،دار الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة ، (د ت ن).

25- آق كوندوز احمد، اوزتورك سعيد الدولة العثمانية المجهولة (303 سؤال و جواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية ،(د ط) ،وقف البحوث العثمانية ، 2008م.

26- هريدي عبد اللطيف ، الحروب العثمانية الفارسية و اثرها في انحسار المد الإسلامي عن اوربا ، ط1، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة، 1987م.

27- حليم بك إبراهيم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)،ط1،ديوان عموم الأوقاف ،(د م ن)،1905م.

28- عاشور سعيد عبد الفتاح، العصر المملوكي في مصر و الشام، ط2، دار النهضة العربية ، القاهرة ،1995م.

29- الحويري محمود محمد ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1، المكتب المصري، لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2001م.

30- الحويري محمود محمد ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1 ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ،2001م.

31- مصطفى احمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني ، ط2، دار الشروق ، بيروت ،1986م.

32- السيد محمود ، تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي ،(د ط) ،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2004م.

33- الصلابي علي محمد محمد ، عوامل النهوض و أسباب السقوط، ط1، دار التوزيع و النشر الإسلامية ، بورسعيد ،2001م.

34- متولي احمد فؤاد ، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ، ايتراك للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة ،2002م.

35- نوار عبد العزيز سليمان ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،(د ط) ،دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، القاهرة ، 1967م.

36- سحري محمد الطاهر ، مختصر تاريخ الدولة العثمانية ،ج1، ط1، مطبعة المعارف ، الجزائر ، 2008م.

37- السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية و حضارتها ، (د ط) ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، 2006م.

38- الاسكندري عمر ، حسن سليم تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل وقت الحاضر، الكبتن، ا-ج سفدج، ط2، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996م.

39- الصميدعي زياد حمد، الكيلاني جمال الدين قالح ، تاريخ الدولة العثمانية رجال و حوادث ، ط1 ، المنظمة المغربية للتربية و الثقافة و العلوم ، المغرب ، 2013م.

40- حسن أسامة ،طومان باي آخر سلاطين المماليك ، ط1، دار الامل للنشر و التوزيع ، الجيزة ، (د ت ن) .

41- عمر عمر عبد العزيز ، تاريخ المشرق العربي، (د ط) ،دار النهضة العربية للبطاعة و النشر، بيروت ،(د ت ن).

42- ايفانوف نيقولاي ، الفتح العثماني للاقطار العربية (1516-1574م) ط1، دار القرابي، بيروت ، 1988م.

43- عبد الله الرزاق، الجمل الشوقي ، تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1997م.

44- القوصي عطية ، تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، (20-922هـ) (641-1517م) ،(د ط) ،دار الثقافة العربية ، القاهرة ، (د ت ن) .

45- زيدان جرجي ، مصر العثمانية ، (د ط) ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ، 2018م.

46- البهجي ايناس حسني ، دولة المماليك البداية و النهاية ، دار التعليم الجامعي ،الإسكندرية ، 2015م.

47- الجميل سيار، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشورق للنشر و التوزيع ، الأردن، 1997م.

48- قلعجي قدري ، الخليج العربي بحر الاساطير ،ط2 ، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ،1992م.

49- اباضة فاروق عثمان ، اثر تحول التجارة العالمية إلى راس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط اثناء القرن السادس عشر ، ط2، دار المعارف، القاهرة ، (د ت ن).

50- مؤنس حسين ، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط2، مطبعة الحجازي ، القاهرة ، 1938م.

51- الترمانيني عبد السلام ، احداث التاريخ الإسلامي ن بترتيب السنين من (751-100هـ) (1250-1591م) ج4،ط1، دار طلاس ،(د م ن) 1997م.

52- مصطفى نادية محمود، خبرة العصر المملوكي بين تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الاوربية الثانية ، مركز الحضارات للدراسات السياسية ، (د م ن) ،(د ت ن).

53- الراق محمد عبد المنعم السيد ، الغزو العثماني لمصر و نتائجه على الوطن العربي ،(د ط) ،مؤسسة شباب الجامعة للنشر و الطباعة ، (د م ن) ،(د ت ن).

54- عوف احمد، أحوال مصر من عصر لعصر، (د ط) ،العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، (د ت ن).

55- يحيى جلال، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، (د ط) ،دار المعارف بمصر، 1965م.

56- بيضون جميل، تاريخ العرب الحديث ط1، دار الامل ، الأردن،1992م.

57- محمود سيد محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية (النشاة و الازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة و الدراسات التركية الحديثة) ،ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2007م.

ب – المراجع المعربة :

1-اوغلي اكمل الدين احسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، (د ط)، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، استنبول، 1999م.

2-اينالجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر : محمد م، الأرناؤروط ، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية ، استانبول ، 1999م.

3-روجان يوجين ، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، تر : محمد إبراهيم الجندي ، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة ،2011م.

4-شوجر بيتر، اوربا العثمانية 1354-1804م تر : عاصم الدسوقي ، ط1 ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة، 1998م.

5-موير السير وليم ، صفحات من تاريخ مصر ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، تر: محمود العابدين ، و سليم حسن ، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1995م.

6-نافع غيثاء احمد العلاقات العثمانية المملوكية (868-923هـ/1464-1517م) تر : عمر عبد السلام ، تدموي ، ط1، المكتبةالمصرية للطباعة و النشر ، (د م ن) ،(د ت ن).

4-الموسوعات :

1. الزيدي مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي ، العصر المملوكي ، دار أسامة للنشرو التوزيع ، الأردن، عمان، 2003م.
2. الزيدي مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي ، العصرالعثماني ، (د ط)، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، عمان ، 2003م.
3. العفيفي عبد الحكيم ، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2000م.
4. الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية ، ج3، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، (د م ن) (د ت ن).

5-المعاجم :

1. حلاق حسان ، صباغ عباس ، المعجم الجامع في المصطلحات الايوبية و المملوكية و العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1999م.
2. صابان سهيل، المعجم الموسوعي لمصطلحات العثمانية التاريخية ، تر : عبد الرزاق حسن بركات، (د ط) مكتبةالملك فهد الوطنية ، الرياض ،2000م.
3. محاسيس نجاة سليم محمود، معجم المعارك التاريخية (معارك ، غزوات ، حروب، ثورات، وقعات، أيام ، فتوحات) عبر العصور التاريخية منذ فجر

التاريخ إلى و حتى عام 2005 ،ط1، دار زهران للنشر و التوزيع ، عمان، 2011م.

4. موستراش س ، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية ، تر و تع : عصام محمد الشحادات ، ط1، دار ابن حزم للطباعة و النشر بيروت ، لبنان، 2002م.

6-المقالات :

1. امتثال عز الدين، المجمل في تاريخ مصر، اسرتا المماليك ، الحلقة الثالثة عشر، مصر عظمة الانسان و الزمان و المكان ، أبناء الوطن ، العدد 35.

7-المجلات :

1. بن علي العريني عبد الرحمن، قيام الدولة العثمانية و حملات التحالف الصليبي ضدها (3/4) مجلة الدرعية ، السنة الثالثة ، العدد العاشر، ربيع الآخر 1421هـ، يوليو 2000 م.

8-الرسائل الجامعية :

1. الجزار هاني فخري عطية ، النظام العسكري في دولة المماليك ((648-923هـ/1250-1517م)، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ الإسلامي ، اشراف : رياض مصطفى شاهين ، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية في غزة 2007م.
2. اللحام بديع السيد، الأمام السيوطي محدثا ، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، اش: جملية شوكت ، شعبة الاسلاميات، جامعة البنجاب، باكستان ، 1991م.

9-القواميس:

1-الزركلي خير الدين الاعلام، قاموس تراجم الأشهر و الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ، ج2، ط1، دارالعلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 2002م.

ب - الأجنبية :

M .lome fleury biographie elementaire des personnages et litteratures libraire de p. durant paris 1839.